الدرس الرمضاني (2)

دروس 1426 هـ

تأليـــــــف

أبي يزن حمزة بن فايع الفتحي



الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــــد :

فحياكم الله في ثاني ليلة من رمضان ، وكنا قد بدأنا معكم في رمضان الماضي 1425هـ كلمات مقتضيات في (القصص القرآني) وتحدثنا بتوفيق الله ومنته عن إحدى عشرة قصة ، تناولت حسب السرد القرآني ، مع بعض الزيادات التاريخية التي لا تضر بالسياق القرآني ، بل ربما جلت مجمله ، وأوضحت مشكله .

وكان لتلك القصص الأثر البارز ، والعاقبة الحميدة ، لأنها تنبع من الوحي الحق ويحكيها الله عز وجل ، وتبزغ من الكتاب المحكم ، والذي هو طلبة الصائمين في هذا الشهر .

فليس حديثنا عن القصة نوعاً من الترف العلمي ، أو الخروج الأبعد عن وظيفة هذا الشهر ، بل إننا في رمضان ، وفي عبادته القويمة ، وطاعته المتضاعفة ، وفي همم الصالحين ، وحياة العباد والمتقين ، ولعل هذه القصص تؤدي ثمارها في مستحقيها وقارئيها ، بعون الله وتوفيقه .

(1) قصة الإفك

- وهذه قصة عظيمة مليئة بالدروس والصبر ، أشار القرآن إلى أطرافها ، وكشف دوافعها دون الخوض في تفاصيلها ودقائقها ، ولكن تجدون وصفها الدقيق في كتب السنة والتاريخ وهي على كل حال ثابتة مخرجة في الصحيحين وغيرهما .
- وحينما نسمع قوله تعالى **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ** [النور : 11] يتردد في ذهنك ، ما هو الإفك وما معناه .

والإفك في اللغة : الكذب والبهتان .

وملخص القصة :

إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج لملاقاة بني المصطلق حيث بلغه أنهم يجمون لحربه ، وكان إذا خرج أقرع بين نسائه ، فأيها خرج سهمها أخذها فخرجت القرعة على عائشة ، فانطلق لهدفه العسكري ، وهو تأديب بني المصطلق ، وذلك (سنة 6 هـ) فبلغ ديارهم ووصل إلى اسم ما ماء لهم يُقال له (المر يسيع) بالتصغير ، فلما علموا لمقدم جيش المسلمين تفرقوا وباغتهم رسول الله على مائهم في ديارهم وأحوالهم.

ثم قضى النبي صلى الله عليه وسلم من قتالهم ، وعاد ثم في عودته نزل في بعض المنازل ، فخرجت عائشة رضي الله عنها من هودجها ، فخرجت لبعض حاجتها ثم عادت ، فنظرت فليس منها عقدها ، وكأنه سقط منها ، فرجعت تبحث عنه ، وتأخرت ، وقام من يحرك هودجها وظنوا أنها فيه ، وذلك لخفة النساء ، تلك الفترة واندفع الجيش سائراً إلى المدينة .

ثم وصلت عائشة بعد انصرافهم ، فإذا المكان خال ، ليس فيه داع ولا مجيب ، فقعدت مكانها ، راجية أن يعودوا لأخذها ، فلما طال بها المقام غلبتها عيناها ونامت رضي الله عنها ، فلم تستيقظ إلا على قول صحابي – كان قد يحرس في أخريات الجيش وكان من طبعته النوم الكثير – (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وهو صفوان بن المعطل السلمي ، فلما رآها عرفها ، لأنه قد رآها قبل الحجاب قالت هي : (فحمرت وجهي ، وكان قد رآني قبل الحجاب فعرفني) ، فما كان منه بعد استرجاعه إلا أن قرب لها ناقته فركبتها ، ولم يكلمها كلمة واحدة ، ثم سار بها يقودها ، حتى أدرك الجيش فلما رآها الناس تكلم كل شخص حسب شاكلته ، ووجد الخبيث ابن سلول فرصة سانحة للحط من المقام النبوي ، وتحطيم

الدعوة الإسلامية ، وضربها في العمق ضربة ، رآها هو أنها ستنزل عليها كالصاعقة ، تعكر صفوها ، وتلطخ خطابها، وتلحقها سوأة الدهر ، ولعنة التاريخ .

وكان مما ذكرته كتب السيرة أن قال لما رأى المشهد (والله ما نجت منه ولا نجا منها) ، وفشت هذه المقالة في الناس ، وجعل الخبيث يستوسني الإفك ، ويشيعه ويفرقه في الناس وهو المعني بقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور : 11] ومعنى قوله كبره : أي تولى معظمه ، وقام على نشره وإذاعته .

وصل الجيش المدينة ، والرسول يحسن الظن بزوجه ، وبالصحابي صفوان ولكن أرباب النفاق استعملوها للكيد والنيل من عرض رسول الله ، ودعوته .

ومن المؤسف انزلاق بعض الصحابة في ذلك نحو حمنة بنت جحش ومسطح وحسان رضي الله عنهم حيث خاضوا مع من خاض ، وقد عاتبهم القرآن في ذلك فقال ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ** ﴾
[النور : 12 - 13] .

نما الخبر إلى رسول الله ، فتألم كثيراً ، ولكن قاوم بصبره العميق ، وجلس منتظراً متأملاً ، وكان الإفك بلاء له ولزوجه ولأبي بكر وزوجه والدي عائشة رضي الله عنهم .

وعائشة حين وصولها المدينة ، لم تكن تعلم بما يقول الناس فيها حتى خرجت ذات يوم مع أم مسطح بن أثاثه فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعِسَ مسطح ، فقالت عائشة : بئس لعمري ما قلت لرجل شهد بدراً ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت عائشة : وما الخبر ؟ فحدثتها بالإفك .

فوقعت عائشة في كرب شديد ، وجاءها الغم من كل مكان ، وأحاطتها الدموع والأحزان ، وعادت إلى بيتها ، لا تهنأ بنوم ، ولا يجف لها دموع ، وحدثت أمها فقالت لها كلمة حكيمة : (خففي عليكِ ، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ، ولها ضرَائر ، إلا أكثرن عليها) .

مضى شهر ، وكان ذلك في شعبان ، ودخل رمضان والأمر لم ينقضي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتاق لو ينزل الله قرآناً ، أو يرى رؤيا تكشف البلاء ومَن وراءه ؟!

فاستشار صحابته ، وسأل زينب بنت جحش وقالت : أحمي سمعي وبصري ، ما علمت عليها إلا خيراً .

قالت عائشة : (فعصمها الله بالورع) أي لم تخض كمن خاض .

واستشار غيرها من الصحابة .

ثم دخل صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها أبواها وهي تبكي ، فقال لها يا عائشة : (إن كنت قارفت سوءاً فتوبي إلى الله ، وإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله) .

فالتفت إلى لوالديها ليجيبا رسول الله ، فلم يستطع أي واحد منهما الإجابة .

ثم قالت : (لقد علمت إنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في نفسكم ذلك ، ولقد قلت لكم أني بريئة لا تصدقوني ووالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول والد يوسف

 فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [يوسف : 18] .

ثم اشتد الخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام يستعذر من الناس أي يطلب النصرة على من آذاه فقال : (أيها الناس : من يعذرني من رجل بلغني آذاه في أهلي ، وما علمت على أهلي إلا خيرا) .

فتكلم أسيد بن حضر : أنا والله أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك .

فقام سعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لا تقتله .

وكاد الحيان يقتتلان فخفضهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع الفتنة بينهما .

ثم في آخر الشهر غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الوحي ، ثم سُري عنه ، وهو يضحك فكان أول من تكلم به (يا عائشة ، احمدي ربك فقد برأك الله) فقالت أمها : قومي إلى رسول الله ، فقالت : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله تعالى ، ثم أنزل الله الآيات فيها **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**

لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : 11 - 20] .

وكانت تقول : (والله ما ظننت أن ينزل الله في شأني وحياً ، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله) .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، وتلا الآيات ، ثم نزل ، وجلد من قذف عائشة كحمنة ومسطح وحسان ، واختلف هل جلد ابن أبي ، في ذلك خلاف بين العلماء ، وكان أبو بكر قد منع مسطح النفقة ، لما علم أن تكلم في عائشة ، فأقسم ألا ينفق عيه ، فأنزل عليه معاتباً له : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النور : 22] .

فقال أبو بكر : بل نحب أن يغفر الله لنا .

وهذا يدل على فقه أبي بكر ، وطيب نفسه ، ورجوعه إلى الحق ، وعفوه عمن ظلمه . وقد انشد بعضهم يقول :

فـإن قدر الذنب من مسطحٍ
يحط قدر النجم من أفقهْ
وقد جرى منه الذي قد جرى
وعوتب الصديق في حقهْ

هذا هو ملخص قصة الإفك ، التي أشار القرآن إلى شيء ، وساقها الله عبرة لأهل الإيمان ، وجعلها موعظة يتعظ بها كل ذي قلب وبصيرة ، وفيها فوائد مهمة منها:

(1)أن هذه القصة تعتبر معركة كبيرة خاضها رسول الله وصحابته مع الأعداء .
(2)فيها بيان صبره المتين صلى الله عليه وسلم الذي استطاع من خلاله كظم غيظه وتجاوز الوقيعة في مخاطر أشد وأغلظ .
(3)تأكيد الابتلاء في حق رسول الله وأهل الإيمان .
(4)بيان خطورة المنافقين على الدعوة واستنهازهم للمواقف الحرجة لتنفيذ أهدافهم.
(5)فضل عائشة وإظهار شأنها ، وأن المحنة تكون في طيات المحن ، وكما قال تعالى **فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** [النساء : 19].
(6)تحريم قذف المسلمين ، وأن فاعله مستحق للعقوبة ، وهي الجلد ثمانون جلدة .
(7)تواضع عائشة حين صغرت من شأنها أن ينزل فيها آيات تبرئها .
(8)فضل زينب رضي الله عنها حيث عصمها الله من الوقيعة بسبب دينها وورعها.
(9)خبث طوية ابن سلول ، وبيان عدائه المستحكم للدعوة وأهلها .

هذه أشهر الفوائد والدروس من القصة ، وثمة مسائل وفوائد أخرى استوفاها
ابن حجر في الفتح وابن القيم في زاد المعاد ، وهي قصة جليلة خليقة بالتأمل والاعتبار، واستنباط المعاني والعظات .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،

(2) دولة سبأ

في هذا المساء يسعدنا أن نتكلم عن دولة عظيمة وعن حضارة منيفة ، امتازت بالملك العريض وبالقصور الشامخة ، حيث آتاها الله من صنوف العيش البهيج ، والرجاء الخصب ما لم تؤتاه أمه أو يحوزه بشر .

هذه الدولة حكى الله خبرها في القرآن ، فهي قصة قرآنية ، آياتها باهرة وأخبارها مثيرة ، قال تعالى : **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** [سبأ : 15] .

كانت مساكن سبأ في اليمن ، سبأ هذا رجل من آبائهم نسبوا إليه ، وقد متعهم الله بالمنن الكثيرة ، حيث بنى ملوكهم الأقادم سدوداً عديدة لحفظ الماء والانتفاع به ، ومن أشهر ما بنوه من السدود (سد مأرب) ، الذي امتاز بالمنعة والسعة ، فحفت به الجنات الياغة ، والبساتين الباهرة ، وازدهرت حياتهم بالخيرات ، والبركات ، كما قال :

 جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فكان حق هذه النعم والشكر والإنابة وليس الإعراض والاستعلاء .

ولكن للآسف !!

جاءتهم الرسل ، فكذبوا ، وأعرضوا ، واغتروا بزينة الحياة الدنيا ، وظنوا أنهم بأموالهم خالدين ، وبحضارتهم راسخين .

فما لبثوا حتى سلط الله عليهم دُويبة صغيرة تسمى (الجُرَذ) نقبَت سدهم ، وسحقت جناتهم ، وخربت معاشهم ، كما قال تعالى :

 فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ [سبأ : 16] .

ولما كان السدر أفضله قلله الله تعالى .

فتأملوا يا إخوان كيف تبددت هذه الجنات وكيف أفناها الله ، وجعلها شذر مذر بعد أن كانت شيئاً جميلاً ، ومنظراً خلاباً ، حتى إن المرأة كانت تدخل وعلى رأسها المِكتل ، فيمتلئ بالثمار المتساقطة دون عنت وكلفة ، حتى في أسفارهم ، كانوا لا ينزلون منزلاً إلا ويجدون الزاد والنماء ، فتمنوا خلاف ذلك فقالوا

 وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ [سبأ : 18] . كانوا يسافرون من اليمن لبيت المقدس بلا زاد ولا ماء ، حيث نزلوا وجدوا الخير والرخاء ، لكن تمنوا المفاوز والمشاق بطراً !!

فقالوا : **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ** [سبأ : 19] .

وذهب ذلك الملك والتمكين ، وزالت تلك الحضارة ، وصاروا أحاديث يتحدث بهم الناس .

قال تعالى **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ** [سبأ : 17] ذهبت حضارتهم ، وتمزق شملهم ، قالوا : غسان هُرعت إلى الشام ، وأنمار إلى يثرب وخزاعة إلى مكة ، والأزد إلى عمان .

وفي هذه القصة من الدروس والعظات ما يبهر ويمتع ، ومن ذلك :

(1)إن الإيمان ضمان البقاء ، وأن الكفر بوابة الدمار والزوال .

(2)بيان امتنان الله على عباده ، وأنه خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم النعم ليعبدوه ويشكروه ، وبعض الناس ينعم الله عليه بنعم كثيرة ، أموال وعقارات ومتاجر ، ثم لا يرى عابداً ومصلياً شاكراً .

(3)خطورة الانغماس في الدنيا ونسيان ما أوجب الله على العباد .

(4)وجوب شكران النعم ، والحذر من نكرانها وأن النكران طريق للزوال والفناء .

(5)تعجيل العقوبة للظالمين والمكذبين ، إذا لم يتوبوا ، ويرجعوا إلى ربهم .

(6)هوان الظالمين على الله حيث أهلكهم بما لا يتوقعون من صغار المخلوقات وجعل سبب نهايتهم بفعل الجرذ ، الذي دمّر خيرهم ، وخرب جناتهم .

(3) قصة بني النضير

بنو النضير بطن من بطون اليهود الكائنة في المدينة المنورة . حكى الله علينا خبرهم في القرآن .

فإنك قد تسمع هذه الآية **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ** [الحشر : 2] .

فنتساءل عن المعنى هنا ومن يقصد القرآن ؟!

والمقصود هنا : هم يهود بني النضير ، الذي حاصرهم رسول الله حصاراً شديداً قيل ست ليال ، وقيل : خمس عشرة ليلة ، وحرق نخيلهم تشديداً عليهم .

وكان سبب الغزوة أنه خرج صلى الله عليه وسلم إليهم يطلبهم في دية الرجلين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضهري خطئاً ، وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة فقالوا : (تفضل يا أبا القاسم ، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك) ، فجلس صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار ينتظرهم وكان معه طائفة من أصحابه .

وجلس اليهود يتشاورون ، فتآمروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه هي الفرصة السانحة ، فقالوا : أيكم يأخذ هذه الرحى ويصعد يلقيها على رأسه .. فقال عمرو بن جحاش أنا ، وحذرهم سلام بن مشكم : لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، ولكن لم يهتموا بكلام سيدهم .

فجاءه جبريل عليه السلام ، فأخبره بمكيدتهم فنهض ولم يشعر به أصحابه .

وما لبث حتى أرسل محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم : (اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها ، وقد أجّلتكم عشرا ، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه).

فارتعب اليهود ، وبدأوا التهيؤ للخروج لكن كتب إليهم رأس المنافين ابن سلول أن اثبتوا وتمنعوا ، ولا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم ، فيموتون دونكم ، وهو ما عناه الله بقوله : **لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ** [الحشر : 11] .

عنئدذ ، أحسوا بالثقة والتأييد ، وارتفعت معنوياتهم لمواجهة جيش المسلمين .

فبعث رئيسيهم حيي بن أخطب إلى رسول الله : (إنّا لا نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدالك) .

عندئذ شعر رسول الله بخطورة الحرب والمواجهة الداخلية مع هؤلاء ، وهو لم يسلم من عدوان العرب وتحرش الأعداء .

لكن ما أقدم عليه بنو النضير ، ولمشكلة بقائهم بعد التهديد ونقض العهد ، حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مواجهتهم أياً كانت النتائج .

فانطلق هو وجنود الله المؤمنة ، وضرب عليهم الحصار ، وتحصن اليهود ، وبدأوا يرمون النبل والحجارة على المسلمين .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاصرتهم ، وحرق النخل الذي هو مصدر عيشتهم ، وهذا نوع من المحاصرة الاقتصادية ، والإرهاب النفسي لهم .

وفي ذلك يقول تعالى : **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** [الحشر : 5] . فقالت قريظة : إنك تنهي عن الفساد، فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية مؤيداً لفعل رسوله ، وأن بقاءها أو حرقها ، كله بإذن الله ورضاه .

قال ابن عمر كما في الصحيح : حرَّق رسول الله نخل بني النضير ، وقطع ، وهي البويرة .

وفي هذا قال حسان :

وهان على سراة بني لؤي
حريقٌ بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث :

أدام الله ذلك من صنيع	**وحرق في جوانبها السعيرُ**
ستعلم أينا منها بُنزهٍ	**وتعلم أي أرضنا نضيرُ**

واشتد البلاء والتنكيل على بني النضير من كل مكان ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فسلط عليهم الرعب ، ودبَّ فيهم

الهلع واعتزلتهم قريظة ، وخانهم ابن سلول رأس المنافقين ، فشبه الله حالهم :

 كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [الحشر : 16] .

عندها أرسلوا إلى رسول الله (نحن نخرج عن المدينة) فأخرجهم على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح ، وحقن دماءهم .

فبدأوا بالرحيل يحملون أمتعتهم حتى إنهم كسروا أبواب البيوت كلها التي استحسنوها لحملها وكان المؤمنون يخربونها لكي يتسع القتال لهم مدة الحصار .

فهذا معنى قوله **يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ** [الحشر : 2].

ثم خرجوا مدحورين صاغرين إلى أذرعات الشام ، وهي أرض المحشر وهذا المراد بقوله **لأَوَّلِ الْحَشْرِ** .

قال تعالى **وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ** [الحشر : 3] . والجلاء : هو خروجهم من المدينة إلى الشام .

وبيّن تعالى سبب ذلك بقوله **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** [الحشر : 4] .

ثم بين تعالى بعد ذلك أحكام الفيء وكانت أموالهم فيئاً أفاء الله بها على رسوله ، حيث لم يحصل فيها قتال ولا مبارزة ، وإنما هزمهم الله بالرعب ، قال عمر كما في الصحيحين (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يرجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله خالصة)

وقد وضعها رسول الله في المهاجرين الأوائل خاصة ، ولم يعط من الأنصار إلا أبا دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما .

وكانت هذه الغزوة (سنة 4هـ) تناولتها كلها سورة الحشر حتى إن ابن عباس إذ سمع من يقول سورة الحشر قال : (قل سورة النضير) كما في صحيح البخاري .

وفي هذه القصة من الفوائد ما يلي :

(1) بيان خطورة اليهود ، وما تنطوي عليه قلوبهم من الحقد على الدعوة وعلى صاحبها صلى الله عليه وسلم .

(2) جواز كتابة العهود والمواثيق مع الأعداء ما لم يغدروا ، فإذا غدروا انقض عهدهم وأصبحوا محاربين .

(3) جواز محاصرة الأعداء اقتصادياً ، والتضييق عليهم معيشياً كما صنع بحرق نخيلهم .

(4) حفظ الله ورعايته لرسوله عليه الصلاة والسلام .

(5) نصر الله لرسوله بالرعب والهلع المقذوف في قلوب الأعداء والمجرمين .

(6) بيان أحكام الفيء ، وأن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله ، وقد جعلها في فقراء المهاجرين .

(7) شناعة دور أعداء الداخل من المنافقين وأذنابهم .

(8) كشف حيل اليود وأنهم لا يقاتلون إلا من وراء جدر ، كما قال تعالى : ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ [الحشر : 14] .

(9) بيان تشتت اليهود والمنافقين ، وأنهم مختلفون غاية الاختلاف ، وذلك فرصة لأهل الإيمان .

والله تعالى أعلم ،،

(4) أصحاب الفيل

هم من عناهم الله تعالى بقوله **أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** [الفيل : 1 - 5] .

وملخص خبر أصحاب الفيل : أن الحبشة استقلت بملك اليمن بعد سقوط دولة حمير وهلاك ذو نواس غريقاً في البحر ، وكان عامل النجاشي على اليمن أبرهة الأشرم الذي تنازع مع قائد آخر يدعي ارياط ، ثم آل الحكم إليه ، بعد أن غضب النجاشي من نزاعهما فاسترضى سيده النجاشي رغم أنه قال له : (إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبن قبلها مثلها) .

وقيل : بل عز عليه أن يتدافع الناس من اليمن وغيرها إلى مكة ، وخشى على اضمحلال الدين المسيحي ، فأراد أن يبني شيئاً مضاهياً للكعبة ، يؤمه الناس من كل مكان ، فبنى كنيسة سمتها العرب (القليس) لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنايتها ، وأراد هذا الأشرم أن يحول الناس من الكعبة إلى كنيسته في صنعاء اليمن ، ودعا الناس إلى ذلك ، فألم العرب هذا الصنيع ، وغاظهم أن يوجد مكان عظيم مقدس ينافس الكعبة في الشرف ، فقصدها رجل عربي من كنانة ليلاً، ودخلها وأحدث فيها .

فلما رأى السدنة ذلك أخبروا أبرهة ، وقالوا له : (إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم ، الذي ضاهيت هذا به) ، وقيل : بل فتية قرشيون أحدثوا فيها ناراً فاحترقت فماذا صنع الأشرم ؟!

غضب ، وأزبد وأرعد ، وأقسم ليسيرنَّ إلى مكة ، وليخبرنَّه كعبتها حجراً حجراً.

فجهز الخبيث جيشاً كبيراً عرموماً ، حتى يقهر من يعترض له ، وأخذ معه فيلاً عظيماً كبير الجثة ، لم ير مثله قط .

طبعاً اصطحب الفيل لأجل نريد الإرهاب والإخافة ، والأهم لكي يستطيع هدم الكعبة ، فكانت الخطة أن تجعل السلاسل في الأركان ثم توضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة .

عندها سمعت العرب بعزيمة أبرهة الخطيرة على البيت وعلى عزهم وشرفهم ، فقرروا مجابهته وعدم الاستسلام ، فقاتلته عدة قبائل في طريقه ، لكنه انتصر عليهم .

وكان من آخرهم (ثقيف) فلما رأوه صانعوه لئلا يهدم بيتهم (اللات) فأكرمهم ، وبعثوا معه رجلاً يدعي (أبا رغال) بمثابة الدليل فسار الجيش ومعه الأفيال حتى بلغ موضع قرب مكة يسمى (المغمَّس) وفيه إبل ترعى للمكيين ، ومن ضمنها مائتا بعير لعبد المطلب ، جد النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي أثناء ذلك كلم أبرهة بعض العرب أن يأتيه بأشرف رجل في مكة ، وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت .

فأخبر عبد المطلب بمراد أبرهة فقال : (والله ما نريد حربه ، ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلي بينه وبينه فوالله ما عندنا رفع منه) .

فقال رسول أبرهه : فاذهب معي إليه فذهب عبد المطلب إلى أبرهه ، فلما رآه أجله ووقره ، وكان رجلاً جسيماً حسن المنظر .

ونزل الأشرم عن سريره ، وجلس على البساط .

فقال : ما حاجتك ؟

فقال : حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أخذها رجالك .

فقال : قد زهدت فيك حين كلَّمتني ، تكلمني في مائتي بعير ، وتترك بيتـاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه .

فقال عبد المطلب (أنا رب الإبل .. وإن للبيت رباً سيمنعه) .

فقال الخبيث : ما كان ليمتنع مني .

فقال : أنت وذاك .

ثم إنَّ عبد المطلب خاطب القرشيين أن يخرجوا من مكة ، ويتحصنوا برؤوس الجبال تخوفاً عليهم مما قد يحلّ بجيش أبرهة ، وعمد هو إلى باب الكعبة ، ومعه نفر يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجيشه .

وقال فيما اشتهر في كتب التاريخ :

لا هُمَّ إن المرء .. يمنع رحلَه فامنع رِحالكْ

لا يعلبنَّ صليبُهم ومِحالهم أبداً مِحالكْ

فلما كان الغد ذهب أبرهه لما أراد ، وعزم عليه ، وتهيأ بجيشه وفيلته . ووجَّه الفيل الضخم لمكة ، فبرك الفيل ولم يحرك ساكناً .

فضربوه في رأسه ، وحركوه بكل شيء فأبى ، فوجهوه لليمن فسار راجعاً فأعادوه جهة مكة فبرك ، وكان كلما وجهوه لجهة تحرك وهرول ، إلا مكة ، فإنهم إذا وجّه استحسر وبرك ، ثم في أثناء ذلك ، سلط الله عليهم طيراً من البحر ، أمثال الخطاطيف والتلبسان مع كل طائر ثلاثة أحجار وهذه الحجارة أمثال الحمص ، لا يصيب أحد منهم إلا هلك .

وخرج الجيش المدجج مهزوماً مدحوراً فاراً ، يسألون عن نُقيل بن حبيب يدلهم الطريق وكان ممن اعترضهم فأسروه وجعل نفيل وهو على رأس الجبال يقول :

أين المفر والإله الطالبُ
والأشرم المغلوب ليس الغالبُ ؟!

وجعلوا يهلكون ويتساقطون ، وكان أبرهة يسقط عضواً عضواً ، حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل الفرخ ، وهلك هناك .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾ .

والمعنى جعل كيدهم في ضلال أي ذهاب وإبطال وسلط عليهم جماعات من الطير مجتمعة وتحصيهم كحجارة من سجيل أي مكونة من حجر وطين مطبوخ .

وكانت الحجارة تدخل من أعلى الرجل وتخرج من دبره ، بكل قوة وصلابة فهلكوا جميعاً .

قال تعالى ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾ ، وهو التبن ، أو القشرة على الحبة من مأكول البهائم ، ثم آل ملك اليمن إلى أهله ، إذ بعد هلاك أبرهة ، ورثة ابن يكسوم، ثم خرج سيف بن ذي زين الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة ، فأعانه فردّ ملك اليمن وجاءته وفود العرب للتهئنة .

هذا ملخص قصة أصحاب الفيل ، وقد أنزل الله في خيرهم سورة صغيرة تـُتلى في كتابه ، وفي هذا العام ولد النبي صلى الله عليه وسلم .

وأهم الفوائد والعبر من هذه القصة :

(1) صيانة الله وحفظه لبيته الحرام وأن أي يد تطاله هي يد طاغية ، حقها البتر والإزالة.
(2) بيان ما كان عليه أهل الجاهلية من تعظيم البيت ، واحترامه ، مع كونهم مشركين .
(3) إقرار الجاهلين بتوحيد الربوبية .
(4) تشريف الله للقرشيين بحماية بيته وهو شرف للعرب ، ولهذه البلاد خاصة .
(5) من يغالب الله وشعائره يغلب ، ويخسأ ويندحر .
(6) حقارة الغزاة المعتدين ، حيث أهلكهم الله بطير أبابيل أتت مجتمعة ، تحمل حجاة صغيرة .
(7) أن لكل ظالم ومعتدٍ نهاية وخاتمة ، مهما طغا وتجبر ، فإنه هالك مدحور .
(8) بيان قدرة الله العظيمة ، وعزته النافذة في كل مستعل جبار إذا تجاوز حده ، ونسى قدر نفسه .
(9) عرف هذا العام بعام الفيل عند العرب ، وأرخ الناس به ، وفيه ولد سيد ولد آدم عليه السلام .
(10) قبح النهاية التي آل إليها أصحاب الفيل **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** .
(11) إن فيها نذارة لكل ظالم يحاول المساس بشعائر الله وحرماته .

(5) ولادة موسى عليه السلام

موسى عليه السلام من أنبياء الله العظام ، وهو أحد أولي العزم من الرسل ، وقد امتلأت حياته بالأحداث الكبيرة ، وتكرر ذكره في القرآن مرات ومرات ، وسوف نتخير من تلك الأحداث ما تيسر :

فمنها أولاً : خبر ولادته

فقد كان مثيراً للدهشة ، ممتلئاً بالعبرة جدير بمن يقرأ القرآن ، ويحب القصص أنه سيتأمله ، ويتدبر فيه .

وقصة الولادة ذكرها الله في مطلع القصص بعد ما قال : **نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**
[القصص : 3 - 4] .

كان من أمر فرعون الطاغية الجبار أنه استضعف بني إسرائيل ، وأعمل فيهم الإهانات والأذيات ، فقد كان يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم .

والسبب في ذلك : إنه قد شاع في مملكة فرعون أن زوال ملكه وذهاب مجده على يد طفل من بني إسرائيل .

فوصل الخبر لفرعون فصار يقتل أبناء بني إسرائيل ويترك النساء للخدمة والإهانة .

فلما استمر القتل في بني إسرائيل ، خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل ، فتنتقل الأعمال والمهن إليهم ، فأسَّروا إلى فرعون أن اقتل عاماً ، واترك عاماً ، لأن النساء لن يقمن بأعمال الرجال ، فولد هارون عليه السلام في السنة التي تترك فيها الأولاد ، وولد موسى عليه السلام في العام الذي يُقتل فيه الأولاد حكمة من الله . وكان عند فرعون (جهاز رقابي)على ذلك مكون من موكلين وقوابل يدُرن على النساء ، يقيدن الحوامل فإذا ولدت جارية تركتها ، وإن ولدت ذكراً دخل الذباحون وذبحوا الطفل
قبحهم الله .

فلما حملت أم موسى لم يظهر عليها علامات الحمل ثم وضعته ، فلما وقع ذكراً خافت خوفاً شديداً ، وذعرت منه .. لماذا ؟!

لأنها ستعرف مصيره ، وكيف سيتركه جزارو فرعون ، الذين يقتلون الصبيان في سنة دون سنة .

فلما أحست بالألم الشديد والحزن ، وقد قذف في قلبها حبه ، ألقى الله في خلَدها ما ذكره في السورة : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص : 7].

إذن هنا عدة أمور :

(1)قومي بالرضاعة .

(2)عند الخوف عليه ارميه في البحر .

(3)لا تخافي عليه ولا تحزني .

(4)سنعيده إليكِ لتأنسي به .

(5)وسنجعله من المرسلين بالدعوة .

ومن تقدير الله أن دارها كان على حافة النيل ، فكانت ترضعه ، فإذا خافت ألقته في البحر في تابوت ، وربطت ذلك عندها وفي ذات مرة دخل عليها من خافت منه فألقت هذا الصندوق في البحر ، ونسيت أن تربطه عندها ، فطار الماء بالتابوت حتى وصل إلى قصر فرعون ، فرأته الجواري فاحتملوه ، وأدخلوه على زوج فرعون آسية بنت مزاحم ، وكانت امرأة صالحة ، فلما فتح الصندوق ، فإذا هو غلام صغير من أجمل ما خلق الله ، وأوقع الله في قلبها محبته ، وكان موسى كل من نظر إليه أحبه طبعاً وشرعاً.

علم الطاغية الخبيث بأمر هذا الغلام الذي حلَّ ضيفاً على القصر ، فأراد قتله خشية أن يكون إسرائيلياً ، فخاصمته زوجته وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه ، كما قال تعالى : ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [القصص : 8 - 9] .

يروى أنها لما قالت له : قرة عين لي ولك ، قال : أما لك فنعم ، وأما لي فلا ، فكان كذلك انتفعت به واتخذته ابناً لها ، وهداها الله بسببه ، وأشقى المجرم بسببه ، حيث ازداد كفراً وعدواناً .

أما أم موسى لما اختفى ابنها في البحر صار قلبها فارغاً من كل شيء عن الدنيا الا ابنها ، حتى كادت تفشي سره لولا تثبيت الله لها كما قال : ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي**

بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : 10] .

ثم إنها قالت لاخته الكبرى : قصيه تتبعي أثره ، انظري إلى أين حل مكانه ، ﴿ **وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [القصص : 11] وكان الله قد حرم عليه المراضع تحريماً قدرياً ، حيث عاف كل المرضعات فقالت ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** ﴾ [القصص : 12] . فشكّوا في أمرها ، فقالت : إنما ينصحون له رغبة في سرور الملك ، فذهبوا معها إلى بيت أمه ، فالتقم الصبي ثديها ، وأخبرت زوجة الملك ، وفرحت بذلك ، فأرسلت إليها أن تأتي لترضعه في القصر فاعتذرت بأن لها بعلاً وأولاداً ، لكن إن أحبت ارضعته في بيتها ، فأجابت امرأة فرعون ، وأجرت عليها الصلات ، ففرحت أم موسى فرحاً شديداً ، قال تعالى : ﴿ **فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [القصص : 13].

أما فوائد القصة ما يلي :

(1) بيان ما كان عليه من فرعون من البطش والإسراف في القتل ، وأذية بني إسرائيل .
(2) فضل موسى عليه السلام ، وتشريفه بكثير من الخصال .
(3) إذلال الله تعالى للظلمة ، مهما طغوا ، فقد أذل هذا الطاغية بهذا الغلام الصغير.
(4) حفظ الله لعباده المؤمنين ، فقد حفظ موسى وأمه ، وهيأ لهم أسباب الحفظ والرعاية والصيانة .
(5) بيان ما عليه الأم من الشفقة ، والعاطفة الجياشة تجاه أبنائها .
(6) إن مع العسر يسرا ، وأن عاقبة فيه الصبر الفرج فقد صبرت أم موسى على البلاء .
(7) جهل بني آدم لا سيما الظالمون بتصريف الله للأمور فقد جعل نهايتهم في هذا الغلام الذي اعتنوا به كما قال ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ .

(8) فضل آسيا رحمها الله ، حيث دافعت عن الغلام الصغير ، وكان سبباً في هدايتها وإيمانها .

(9) استنقاذ الله تعالى بها لبني إسرائيل من كبد هذا الظالم ، بنبوة موسى عليه السلام .

(10) تثبيت الله لعباده المؤمنين نحو ما حصل لأم موسى قال : ﴿ **لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا** ﴾ .

ونكتفي بهذا القدر والله الموفق ،،

(6) نبوة موسى عليه السلام
وخروجه من مصر إلى مدين

قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [القصص : 14] .

بعد أن تمت أمه رضاعته ، أسلمته لقصر فرعون ، وهناك ربا وترعرع حتى استوى واستقام ، فاصطفاه الله لرسالته ، وآتاه العلم والحكمة .

ثم في ذات يوم خرج إلى بعض شوارع المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما من إسرائيل من شيعته والآخر قبطي ، فاستغاث به صاحبه من جماعته على الذي من عدوه ، فوكزه بعصا كانت معه ، وكان فيها موته ، فتألم موسى بما حصل فقال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل واستغفر الله ، وقرر أن لا يكون معيناً للظالمين .

قال تعالى : ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾ [القصص : 15 - 17] .

ثم في اليوم الآخر ، تكرر المشهد مع موسى عليه السلام ، وكان قد أصبح بعد ذلك خائفاً من جراء ما وقع بالأمس ، قال تعالى : ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ [القصص : 18] .

هذا الإسرائيلي يتنازع مع رجل آخر فلما رآه موسى قال له إنك لغوي مبين ، أي كثير الغواية ، ثم عزم موسى على صد الفرعوني ودفعه فظن الإسرائيلي لضعفه وخوره أن موسى يريده ، لا سيما وقد قال له وأنه ﴿ **إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ .

فقال الإسرائيلي : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ، وكان قول الإسرائيلي لموسى ﴿ **فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ**

يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص : 19] .

فأخذها الفرعوني ، ونشرها بين الناس ، وأوصلها إلى فرعون وملئه ، فاشتد حنق فرعون ، وبحث عن موسى ليبطش به . خاف موسى ورُعب مما حصل .

وجاءه رجل من أقصى المدينة يسعى ، يخبره أن الملأ يريدون قتلك فاخرج إني لك من الناصحين . قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ** ﴾ [القصص : 20] .

﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص : 21] ، أي خرج من مصر خائفاً يتلفت ، يحذر بطش فرعون ودولته ، ودعا الله أن ينجيه من الظالمين وكيدهم ، فقيل إن الله بعث إليه ملكاً على فرس فأرشده إلى الطريق.

خرج من مصر خائفاً ، ومسرعاً أن يصل إليه الأعادي ، وسار يسير بمفرده ليس له راع ، ولا مؤنس إلا الله تعالى ، حتى حطت به الأقدار في بلاد تسمى (مدين) بالشام تلقاء غزة .

وهي غير المدائن التي قرب بغداد ، وكانت تحت كسرى إلى أن جاء الفتح الإسلامي .

ويُقال إنه وصل إليها بعد ثماني ليال من المشي والتعب ، وقد مشى حافياً ، جائعاً حتى بان عليه الرهق والهزال .

قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [القصص : 22] .

وهناك في مدين ورد على بئر ماء يستقى منه الرعاة ، ووجد جماعة من الناس عليه ، ثم نظر في ذلك امرأتين منعزلتين تمنعنان غنمهما عن مخالطة غنم الناس ، فلما رآهما موسى عليه السلام ، رقَّ لحالهما ورحمهما وقال : ما خطبكما ؟! قالتا لا نشرع في سقي الغنم حتى ينتهي هؤلاء الناس ، وليس عندنا من رجل ، وأبونا شيخ كبير لا يستطيع العمل .

قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا**

خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ [القصص : 1] .

وفي مصنف ابن أبي شيبة : أن البئر كان عليه صخرة كبيرة لا يحملها إلا عشرة من الرجال ، فجاء موسى فرفعها وسقى لهما .

ثم لما فرغ سرحهما ، وجلس تحت ظل شجرة ، وهو فقير كسير ، ليس له طعام إلا ورق الشجرة ، وقد قدمنا أنه جاء مسافراً على قدميه ، وقد جهُد وأُنهكت قواه وهناك دعا الله تعالى **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** [القصص : 24] .

بعد ذلك : عادت المرأتان إلى أبيهما في وقت مبكر على خلاف العادة ، فسألهما الأب ، فأخبرتاه الخبر .

وإن رجلاً صالحاً ، أحسن إليهما ، وسقى لهما مع الناس ، وآواهما وسرح غنمهما ، فبعث إحدى المرأتين لدعوته .

وتأمل الأخلاق النبيلة ، تجذب اهتمام الناس ، والناس معادن ، وأحب والد الفتاتين أن يتعرف حال هذا المحسن إلى بناته .

قال تعالى : **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** [القصص : 25] .

أرسل الأب إحدى البنتين ، فجاءته تمشي على استحياء بكل أدب ووقار ، قد تسترت بحجابها ، قال عمر : (ليست بسلفعٍ من النساء ولاجة خراجه) .

فهذا أدبها الأول : إنها تتجه بكامل حيائها والأدب والآخر : دعته ناسية الشأن إلى أبيها (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) . لئلا يتوهم موسى ريبةً فيها .

والمعنى : والدي دعاني لإثابتك على ما فعلت لنا .

فجاء موسى إليه وذكر له قصته وما جرى له في مصر ، فقال الوالد : طِبْ نفساً ، وقر عيناً ، فقد خرجت من مملكتهم ، ولا حكم لهم عندنا .

ثم إن البنت التي دعت موسى اقترحت أمراً على أبيها ، **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ**

الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص : 26] . أي المهنة : رعي الغنم ، وفي ذلك تواضع الأنبياء .

طبعاً الأب استغرب ، وصفته بالأمانة وبالقوة ، وهما أجل ما ستصف به
العامل . القوة : بتحصيل القدرة والاحتمال ، والأمانة : ليتم الإتقان والحفظ والصيانة .

فقال الأب ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ** ﴾ [القصص : 27] .

والمعنى : سأزوجك إحدى البنتين على أن ترعى غنمي ثمان سنوات وإن أكملت عشراً ، فهو فضل من عندك .

قال ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ** ﴾
[القصص : 27] .

قال ﴿ **قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ [القصص : 28] .

قال : هذا عهد بيني وبينك أيهما قضيت فلا عدوان عليَّ .

وقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث أي الأجلين قضى موسى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أتمهما وأكملهما) .

هذا باختصار خبر نبوة موسى عليه السلام وخروجه من مصر فراراً من بطش فرعون وملئه .

وفي هذه القصة من الفوائد :

(1) فضل موسى عليه السلام حيث اصطفاه الله تعالى واختاره لرسالته .

(2) تعاطف الإنسان لجماعته وشيعته والقيام على نصرهم .

(3) وقوع الخطايا من الأنبياء .

(4) وجوب التوبة والاستغفار عند مقارفة الذنوب كما حصل من موسى عليه السلام.

(5) التحذير من إعانة الظالمين ونصرتهم ومظاهرتهم ، قال تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾ [هود : 113] .

(6) عظم الدور المبذول من الرجل الصالح الذي جاء يسعى .

(7) مشروعية العمل والسعي لنصرة الإسلام وحماية شعائره ودعاته .

(8) ثبوت الابتلاء للمؤمنين ، وللأنبياء على الخصوص مع كرامتهم وفضلهم عند الله وفي الحديث (أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون) .

(9) مشروعية هجرة الداعية من مكان إلى آخر إذا أحس الخطر ، أو سُدّت في وجهه السبل .

(10) بيان ما ينبغي أن تكون عليه المرأة من أدب وحياء .

(11) فضل المرأتين الصالحتين ، اللتين تمتعا بالحياء والتصون من مخالطة الرجال.

(12) حرمة الاختلاط بالرجال ، لا سيما ما يجر إلى التكشف ، وإذهاب حياء المرأة.

(13) مشروعية رحمة المستضعفين ، ونصر المظلومين ، لا سيما النساء ، وفي الحديث (إني أحرِّج حق الضعيفين المرأة واليتيم) .

(14) انجذاب الناس للأخلاق الفاضلة ، فالرجل الصالح سأل عن موسى وطلب ملاقاته .

(15) مشروعية إثابة المحسن ورد الجميل .

(16) إن صوت المرأة ليس بعورة لكن بشرط أن لا تخضع فيه ، كما قال **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً** [الأحزاب : 32] .

(17) جواز عرض الرجل ابنته على الرجل الصالح .

(18) فراسة المرأة الصالحة حيث زكته أمام أبيها **إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** حيث حمل الصخرة عن البئر مع هزاله وضعفه ، ولما بلغته الرسالة أخفض عينيه ، ولما دعته إلى أبيها مشى أمامها لئلا يرى منها شيئاً تكرهه .

(19) فضل موسى حيث أوفى بأكمل الأجلين .

(20) تواضع موسى حيث رعى الغنم وهو ديدن الأنبياء .

(21) مشورعية استعفاف الدعاة عما في أيدي الناس بالعمل والاتجار .

وغيرها من الفوائد المهمة وهي كثيرة
نكتفي بهذا القدر والله الموفق
والهادي إلى سواء السبيل

(7) عودة موسى إلى بلده

أتم موسى الأجل مع الرجل الصالح ورعى غنمه مدة عشر سنين وكان فيها خير عامل أمين ، وباذل كريم ، وكان الرجل الصالح قد أعجب به وبأخلاقه الكريمة ، وقد صاهره ، وأصبح جليسه وسميره .

ولكن بعد تمام الأجل ، أخبر صهره بأنه عازم على الرجوع إلى بلده ، فأعطاه صهره أغناماً يرعى بها ، وكان رجوعه نوعاً من العاطفة الجياشة إلى الوطن والأهل والذكريات القديمة .

كما قيل :

وحبب أوطان الرجال إليهم
مجالسُ قضاها الشباب هنالكَ

إذا ذكـروا أوطانهم ذكرتهم
عهودَ الصبا فيها فحنوا لذلكَ

وفي الطريق حصلت لهما أمور عجيبة .

قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾ [القصص : 29] .

عزم موسى على أن يدخل مصر خفية من فرعون وجنده ، سلك بأهله في ليلة مطيرة مظلمة ، وأراد أن يوقد ناراً فما استطاع .

وفي أثناء ذلك آنس من جانب الطور ناراً ، رأى ناراً تضيء من مكان بعيد ، فقال لأهله امكثوا أني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون .

يريد أخباراً في هذا الظلام الدامس ، وقد أضل الطريق ، ويمكن أن يأخذ قطعة من النار لكي يستدفئوا بها .

فلما وصل إلى تلك النار ، نؤدي أنني أنا الله رب العالمين .

وكانت النار في شجرة ، ونودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة .

موقف رهيب ، لا يرى أحداً ، ولا يحس بمخلوق ، ولكنه سمع صوتاً من ذلك المكان يقول : ﴿ **إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ** ﴾ [القصص : 30 - 31].

وفي موضع آخر من القرآن :

﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى** ﴾
[طه : 17 - 20] .

استجاب موسى لأمر ربه ، فألقاها فإذا هي حية كبيرة .

وفي القصص قال : ﴿ **فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ** ﴾
[القصص : 31] .

تحولت العصا التي يرعى بها الغنم ، إلى حية كبيرة وسريعة الحركة ، قوائمها وفمها متسع ، تُسمع أضراسها وهي تصطك ولا تمر بصخرة إلا ابتعلتها .

لما رأى موسى عليه السلام المشهد المهول ، خاف وارتعب ، فولى هارباً فناداه الله ﴿ **يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنْ الآمِنِينَ** ﴾ [القصص : 31] .

وفي موضع آخر : ﴿ **سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى** ﴾ [طه : 21] أي ترجع عصا كما كانت .

ثم قال الله تعالى له : ﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى** ﴾
[طه : 22 - 23] .

أني أدخلها تحت العضد ، تخرج بيضاء نقية ليس بها برص ولا أذى .

ومن خلال هذه الآية عرف أنه لقى الله وسمع كلامه ، بعدها استقر قلبه ، وذهب عنه الخوف والوجل ، ثم أمره الله عقبها أنه سينطلق إلى من ؟ !

إلى الجبار الطاغية ، ملك مصر ، الذي تربى في قصره ، وفر منه كما قدمنا سالفاً ، قال : ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴾ [طه : 24] .

فالآن أعطاه الله آيتين عظيمتين وسماهما برهانين قاطعين الحية واليد البيضاء ، حجة قاطعة إلى فرعون وملئه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين ، عندها أحس موسى عليه السلام بالخوف وبخطورة المواجهة ، إذ كيف يرجع إلى بلد هرب منها ، وقد طلبوه لقتله وهو وإن تمنى رؤية بلده ، لكنه يخاف بطش الطاغية هناك ، فأيده الله بهذين البرهانين ليقوي عزمه ، ويشحذ همته .

ولم يجد بُداً من تلبية أمر الله ، وإجابة دعوته . لكن ذكر الله ما يختلج في نفسه من الذنب القديم **قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ** [القصص : 33 - 34] .

انطلق موسى ، والهم يعتمل في نفسه فالتجأ بالدعوات إلى الله **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً** [طه : 25 - 35] .

فأجاب الله دعاءه : **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** [طه : 36] .

ثبته الله ، وشرح صدره ، ويسر أمره وقواه ، وأحل عقدة من لسانه ، ودعمه بأخيه هارون يشاوره ، ويشد من أزره .

وقد كان أخوه هارون في مصر ، التقاه هارون عند الطور ، وهناك التقيا وتشاورا ، وذهبا إلى فرعون مصر ، ليحصل اللقاء العظيم ، والمناظرة الكبرى .

وهذا ما سنعرفه في الدرس القادم .

أما فوائد هذه القصة ورجوعه إلى مصر وما حصل له من آيات في طريقه :

(1) حنين النفوس مضطرةً إلى ديارها والشوق إلى مرابعها القديمة .

(2) فضيلة موسى عليه السلام حيث خصه الله بهذه البراهين والآيات ، بكلامه وبذاته ، كما قال تعالى : **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** [النساء : 164] .

(3)إثبات صفة الكلام لله تعالى ، وإن الله لم يزل متكلماً متى شاء ، كيفما شاء .

(4)تأييد الله لموسى بالمعجزات ، فقد تحولت عصاه إلى حية تسعى وخرجت يده من تحته بيضاء ليس بها سقم ولا عيب .

(5)أهمية المعجزات في تثبيت قلب الداعية .

(6)إقامة الحجة على بني آدم بما يحصل من آيات مبينات لا ينكرها إلا جاحد أو مكابر .

(7)سؤال الانشراح والتوفيق في المواقف العصيبة كما قال : **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** .

(8)ضرورة دعوة الظالم ، وإيقاف ظلمه ، وإقامة الحجة عليه .

(9)إن حمل العصا من سمات الأنبياء قبلنا **وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى** [طه : 18] : الدفاع عن النفس ، صد كل آفة تريده ، إضفاء المهابة عليه ، يصلح بها طريقه ، ويحمل عليها متاعه .

(8) اللقاء الرهيب ، والمناظرة الكبرى

وهذا خبر مهم في حياة موسى عليه السلام إذ بعد ما كلف الله موسى بالذهاب إلى فرعون ودعوته لم يجد فرصة للاعتذار فقد أيده الله بالآيات ، وأجاب دعاءه ، وشد أزره بأخيه هارون .

قال تعالى : ﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ [طه : 43 - 44] .

والمعنى : طغيان فرعون تعاظم ، وشره تكاثر فلابد من نصحه وموعظته ، ومع ذلك الشر والفساد الذي تحمله النفس الفرعونية قال الله لهما : ﴿ **قَوْلاً لَيِّناً** ﴾ . أي كلاماً سهلاً رقيقاً لطيفاً ، حتى يكون أوقع في نفسه ، وأبلغ في احتوائه والتأثير عليه .

عند ذلك ﴿ **قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى** ﴾ [طه : 45] يعني أنه رجل جبار متوحش قد يعتدي ويبطش بنا ، فقال الله ﴿ **قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [طه : 46] وهذه حماية ربانية ، ورعاية إلهية بالحفظ والأمان والكفاية من هذا الظالم فناصيته بيد الله ، وأمره ونهيه إلينا ، فلا يفعل إلا ما يقدره الله ويأذن به .

اجتمع موسى بهارون وانطلقا ينفذان أمر الله تعالى ، وصلا إلى باب القصر ، ومكثا عليه مدة ، قيل ظلا سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ، ولا يجتريء أحد أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بعض جلاسه وسماره فقال : أيها الملك إن على الباب رجلاً يقول قولاً عجباً ، يزعم أن له إلهاً غيرك أرسله إليك ، قال : ببابي ؟ قال : نعم . قال : أدخلوه ، فدخل ومعه هارون .

ويروى : أن موسى ذهب وضرب باب فرعون بعصاه ، فسمع فرعون فغضب، وقال : من يجتريء على هذا الصنيع الشديد ؟ فأخبره السدنة بأن ها هنا رجلاً مجنوناً يقول : إنه رسول الله ، فقال : عليَّ به ، فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما : ما ذكر الله في كتابه ﴿ **قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى** ﴾ [طه : 47] .

طبعاً ، سلم على فرعون ، وجرى بينهما حوار ذكره الله في أكثر من سورة ، ففي طه قال : ﴿ **إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا**

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى [طه : 47] .

وهنا عدة قضايا :

الأولى : أخبراه إنهم رسل الله .

الثانية : أمراه أن يخلي سراح بني إسرائيل وأن يرفع عنهم سوط العذاب .

الثالثة : حملا إليه معجزة من الله .

الرابع : سلما عليه إن اتبع الهدى .

عند ذلك استنكر فرعون هذا الخطاب وتهكم وقال لموسى وقد عرفه **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** [الشعراء : 18] .

يعني : نحن أحسنا إليك وعشت في مصرنا واستمتعت بخيراتنا .

فرد موسى : أتمن عليَّ ذلك وتعدها نعمة ، ومنشؤها استعبادك لبني إسرائيل .

قال فرعون : **وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ** [الشعراء : 19] ، أي الجاحدين .

فقال موسى : **فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنْ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُرْسَلِينَ** [الشعراء : 20 - 21] .

بعدها قال فرعون **فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** [طه : 49] ، يعني هذا الإله الذي بعثكما من هو ؟ ! فإني لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيري .

فقال موسى : **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** [طه : 50] أي أعطاه ما يصلحه ، وقدر الأرزاق والآجال ، وهدى الخلائق إليه فلا يحيدون عنه .

ثم إن فرعون لما دمغه موسى بالألوهية ، ذهب يحتج بالقرون الأولى **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى** [طه : 51] أي الذين لم يعبدوا الله .

قال موسى : ﴿ **عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى** ﴾ [طه : 52] . أي إن كان الأوائل لم يعبدوه ، فإن عملهم محفوظ ، وسيجزيهم بذلك في اللوح المحفوظ لا تفوته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يعتريه الضلال ولا النسيان .

ثم بدأ موسى عليه السلام يقرر عليه دلائل عبودية الله ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** ﴾ [طه : 53] .

قامت الحجة على فرعون الطاغية ، وأخرسه موسى بالبراهين القاطعة ، ولكن كما قال : ﴿ **وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى** ﴾ [طه : 56] .

لكن مع زيادة عناده واستكباره قال في موضع آخر ﴿ **إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ** ﴾ [الأعراف : 106] .

فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، أي ظاهر وهو الذكر من الحيات الكبيرة اندفعت تجاه فرعون فطار من سريره ، واستغاث بموسى أن يكفه ففعل .

ولم يكتف بهذه المعجزة ﴿ **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [الأعراف : 108] أي أخرجها من درعه ، فإذا هي بيضاء تتلألأ كأنها فلقة قمر ، ليس بها أذى ، جميلة للناظرين ، ثم أعادها إلى كُمه فعادت .

عند ذلك اشتد الكرب والحسرة على فرعون فقال : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف : 109] . فأيده الملأ والحاشية معه ﴿ **يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾ [الأعراف : 110] .

فلما رأى الآيات وخشى العار والفضيحة ﴿ **قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى** ﴾ [طه : 57 - 58] .

فهو لما رأى هذه الآيات عاند واستكبر وعدَّ موسى ساحراً ، فزعم ما دام عندك سحر ، فعندنا سحر مثله ، فليكن بيننا موعداً منصفا ، يتصف فيه كل شخص :

فرد موسى : ﴿ **قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى** ﴾ [طه : 59] . ويوم الزينة هو يوم عيدهم ، وتفرغ الناس من أعمالهم ، والوقت ضحى ، ليشهده الناس ، ويبين الحق ، كما أن النهار بين عندهم .

عند ذلك شرع فرعون في جمع السحرة في بلاده ، كما قال : ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** ﴾ [الشعراء : 53] .

وقال : ﴿ **فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى** ﴾ [طه : 60] .

فحضر الناس للمشهد العظيم ، والمناظرة الكبرى ، وجلس فرعون على سرير الملك ، والحاشية حوله ، والسحرة وكبارهم ينتظرون ، فحضر موسى وأخوه هارون ومعه عصاه يتوكأ عليها فلما رأى السحرة وعظهم ﴿ **وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى** ﴾ [طه : 61] . يحذرهم أن لا يُخيلوا الناس بسحرهم أشياء لا حقيقة لها .

لكنهم لم يصغوا للموعظة . ورأوا المجابهة ، وطمعهم فرعون بالجائزة والزلفى إليه إن هم انتصروا عليه .

﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** ﴾ [طه : 65 - 66] .

كما قال تعالى : ﴿ **قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الأعراف : 116] .

والسبب أن هذا كذب ودجل ، ويُقال إنهم أودعوا العصي شيئاً من الزئبق فلفحتها الشمس ، فخيل إنها تتحرك ، وعندها خاف موسى أن تضعف حجته ، ويضعف الناس بسحر هؤلاء المجرمين ، فقال الله تعالى ﴿ **قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ [طه : 68 - 69] .

أمر الله موسى بإلقاء عصاه ، فصارت تنيناً عظيماً هائلاً ، ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس ، فجعلت تبتلع تلك الحيات الكاذبة ، والناس ينظرون ، وكلهم ذهول وتعجب ، فوقع الحق ، وصدق البرهان ، فغلبوا هنالك ، وانقلبوا صاغرين □ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** □ [طه : 70] .

فغضب فرعون ، من إيمان السحرة □ **قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى** □ [طه : 71] .

تأمل كيف لغة الخطاب ، وصورة العذاب المهين لهم □ **قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** □ [طه : 72] .

آمن السحرة لما خالط الإيمان قلوبهم ، فقتلهم فرعون وانتهى حالهم إلى الشهادة قال بعض السلف (كانوا أول النهار سحرة فجرة ، وآخره شهداء بررة) .

وأشهر الفوائد من هذه القصة :

(1) نشر اللين في الدعوة ، وإنه مفتاح التأثير ، لا سيما مع الظلمة والبغاة .
(2) حفظ الله لعباده ودعاته المتوكلين عليه .
(3) بيان أن السلام مع الكافرين (السلام على من اتبع الهدى) .
(4) قوة حجة موسى على فرعون ، قبل مواجهة السحرة .
(5) بطلان كيد الساحر ، وأن ما يأتي به إنما هي من الدجل والتلبيس .
(6) مشروعية مناظرة أهل الباطل ، لمن قدر على ذلك ، وأنها من وسائل الدعوة .
(7) أن للسحر حقيقة ، وإن كان فيه التلبيس والتخييل .
(8) قوة البرهان الذي حمله موسى في المناظرة .
(9) تثبيت الله للموحدين وقت الأزمات والشدائد .
(10) هو أن سلطان الجهل والخرافة تجاه سلطان العلم والهدى .

(9) أصحاب الكهف

قصة قرآنية عظيمة ، ذكرها الله تعالى في سورة هي اسم لما يرمز إليهم .

وهي تحكي عن شباب فتية ، فروا بدينهم من شرك قومهم ، هداهم الله لتوحيده وجنبهم غوائل الشرك في زمانهم .

ورد في السيرة النبوية ما يشير إلى سبب إنزال الله تعالى هذه السورة ، أو حديثه عن هؤلاء الفتيان المؤمنين ، الذين آمنوا وزادهم ربهم هدى .

التقى بعض مشركي مكة بأحبار اليهود في المدينة فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب الأول فأخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقالت اليهود : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فرجل متقوِّل ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ، فإنهم كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول (أي مدعٍ كاذب) .

ثم جاء الوحي بعد انتظار أشفق منه رسول الله ، ويبين أن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول هم أصحاب الكهف ، وبالفعل كان حديثهم عجيباً ، ومليئاً بالفائدة والاعتبار ، وهذا في عقولنا نحن كبشر .

لكن الله تعالى يقول : **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً** [الكهف : 9] أي ليس في أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا ، فإن خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسيير الشمس والقمر والكواكب لأشد .

وملخص خبر أهل الكهف : أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم ، وساداتهم ، وكان قوم أهل شرك ووثنية ، وكان لهم يوم عيد يجتمعون فيه في السنة ، يعبدون فيه الأصنام ويذبحون لها ، وكان لهم ملك جبار يحضهم على ذلك .

وفي يوم من تلك الأعياد خرج الناس كعادتهم وخرج أولئك الفتية مع آبائهم ، ونظروا بعين بصيرتهم إلى ما يصنعه قومهم ، فلم تقبله فطرهم ، ورأوا أن تلك العبادة لا تنبغي إلا لله تعالى وحده .

فجعل كل واحد يحاول التفلت من العيد فانسحب واحد منهم ، وجلس تحت ظل شجرة ثم تبعه الآخر ، وآخر .. حتى اجتمعوا وهم رهط (فتية) .

فلما تقاربوا ، جعل كل واحد منهم يكتم أخاه سره خشية الأذى .

فقال أحدهم : (تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم إلا شيء فليظهر كل منكم أمره فقال آخر : أما أنا ، فإني والله رأيت ما قومي عليه ، فعرفت إنه باطل وإنما الذي يستحق العبادة هو الله وحده) .

فقال الآخر : وأنا والله وقع لي كذلك .

وقال الآخر : مثل ذلك .

فاتفقت كلمتهم على توحيد الله ، وبغض ما قومهم عليه من الشرك والفساد .

كما قال تعالى : ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً** ﴾ [الكهف : 14] ، يعني : كيف نعبد غير خالق السموات والأرض ، ولا يجوز أن يقع ذلك منا ، ولو وقع كان باطلاً ، وزيغاً عن الحق .

تعاقد الفتية على الإيمان والصبر ، ونبذ كل تهديدات قومهم ، كما قال :

﴿ **هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً** ﴾ [الكهف : 15] .

مكث الفتية المؤمنون يعبدون الله ، واتخذوا مكاناً لهم لا يعلم بهم قومهم ، ثم بعد مدة ، انكشف أمرهم ، فاستدعاهم الملك ، فأجابوه بالحق ، وثبتهم الله ، كما قال :

﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾ .

ويقال : أن الملك أنذرهم ، وتهددهم ، وأمهلهم مدة ليرجعوا عن دينهم هذا ، وكان هذا من رحمة الله بهم ، حيث سنحت لهم فرصة الفرار بدينهم من بطش الظالم .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً** ﴾ [الكهف : 16] .

فأرشدهم الله ، أنكم كما اعتزلتموهم بقلوبكم بدينكم ، ففارقوهم بأبدانكم ، لأن هؤلاء لن تنفع معهم الدعوة ، لا سيما وأنكم قليل ، وقد نابذوكم ، فقال : **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** .

فألهمهم الله تعالى (الكهف) – غارة في جبل .

وفي الكهف حصلت لهم خيرات :

(1)نشر الله عليم من رحمته .

(2)حفظهم من كيد قومهم .

(3)أذهب عنهم الروع والخوف .

(4)أمنوا على دينهم وأجسادهم .

ثم طلبهم قومهم مرة أخرى ليختبروهم فلم يجدوهم ، وعمّى الله عليه خبرهم ، كما عمى عن مشركي مكة موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي الكهف حصلت الآية العظيمة ، والمعجزة الكبيرة حيث أنامهم الله تعالى . النوم الطويل ، والمرقد العظيم ، كما قال : **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً** [الكهف : 11] .

ناموا شيئاً عجيباً ، ثلاثمائة سنة وتسع سنين .

وهم من قبلها لما ولجوا الكهف دعوا لله ؛ **رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً** [الكهف : 10] . والمعنى : نسألك رحمة تسترنا بها من قومنا ، وتيسر في أمرنا هذا الرشد والخير ، إذن هذه الآية الأولى .

والثانية : ناموا أعينهم مفتحة ، وأجسادهم تتحرك ، وكان الله يقلبهم لئلا تبلى أجسادهم **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ** [الكهف : 18] .

الثالثة : ضرب الله عليهم المهابة والجلالة ، بحيث يخاف من رآهم كما قال تعالى : **لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً** [الكهف : 18].

الرابعة : الشمس تدخل عليهم والريح كما قال **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا**

غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الكهف : 17] .

بعد تلك المدة الطويلة ، بعثهم الله تعالى على حالاتهم ، لم يفقدوا شيئاً من صحتهم ، فتساءلوا : كم لبثتم ، قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، ثم قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم ، لكن أحسوا بالجوع فقالوا : ليذهب بعضكم إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه ، أي : أطيب وأطهر ما يكون من الأطعمة .

﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ** ﴾ [الكهف : 19]

وليحرص ألا يشعر به أحد ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً** ﴾ [الكهف : 19 - 20] وهذا يدل على أن قومهم نابذوهم ، ومتى ظفروا بهم قتلوهم .

دخل رسول الفتية وجالب الطعام : فرأى المدينة قد تغيرت ، والديار تحولت ، وكأنه يدخل مكاناً جديداً غريباً . فقال : إن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة .

ذهب للبائع فناوله نقوداً ، أنكرها البائع ، فإذا هي من عهد الملك القديم من ثلاثة قرون ، فدفعها إلى جاره ، وجعل الناس يتدافعونها .

وقالوا : لعل هذا وجد كنزاً ، فسألوه ثم استدعى إلى ملك ذلك الزمان فحدثهم بخبره ، فشكوا فيه ، ثم ذهبوا إلى الكهف ، قيل : دخل الملك وسلم عليهم وعانقهم ، ثم ودعوه ، وناموا وقبض الله أرواحهم .

ثم أنهم تنازعوا في شأنهم ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً** ﴾ [الكهف : 21] . وهذا محرم . ثم ذكر عدتهم ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً** ﴾ [الكهف :

22] . ولا فائدة من معرفة عددهم ، والمهم أنهم فتية ، وإن كان الأقرب إنهم سبعة وثامنهم كلبهم ، وقد حظي الكلب بشرف صحبة الصالحين ، فذكره الله معهم .

وأهم فوائد القصة :

(1) أن العبد مفطور على عبادة الله وتوحيده .
(2) أن العقول الزكية تأبى صرف العبادة لغير الله .
(3) أن قصة الكهف من أعاجيب الأخبار التي توقظ البصائر ، وتزيد الإيمان .
(4) إن في الكون أعجب منها لمن تأمل وتدبر .
(5) الأرواح جنود مجندة .
(6) إن الإيمان الصادق سبب للنجاة .
(7) فضل الصالحين في الله ، والاجتماع على الخير ، حتى الكلب ذكره الله .
(8) تأييد الصالحين بالكرامات ، المنام الطويل وعدم تلفهم وانفتاح عيونهم .
(9) وجوب الفرار بالدين من الفتن .
(10) الثبات على المبدأ ، وعدم التزحزح مهما كانت الظروف .
(11) عدم الاعتزاز بالكثرة ، وإن القلة قد تكون مؤمنة راشدة .
(12) إن عدتهم ما ينبغي أن تكون محل خلاف لأنها من فضول العلم .
(13) حماية الله لعباده الصالحين ، وبسطه رحماته عليهم .

(10) قصة يوسف عليه السلام

من أروع قصص القرآن الفريد ، وقد سماها تعالى ﴿ **أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾
[يوسف : 3] . وفي آخرها قال ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى** ﴾ [يوسف : 111] .

ولم تذكر قصة نبي بطولها في موضع واحد سوى هذه القصة ، ذكرت بأكملها واستغرقت كل أجزاء السورة . وهي غاصة بالفوائد والدروس ، وقد كتب الناس فيها كتابات كثيرة .

روي أن الصحابة ملوا في بعض المرات فقالوا حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً**﴾ [الزمر : 23] .

ثم ملوا ملة أخرى ، فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ** ﴾ [يوسف : 3] .

القصة تبدأ بشيء عجيب ، رؤيا يراها الطفل يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

إيش رأى ؟! رأى مجموعة من الكواكب ساجدة له بما فيها الشمس والقمر .

فانشرح صدره ، وفرح بها ، وظهرت تباشيرها على محياه ، وأحب أن يشرك في الفرحة أباه ، فقصها عليه ، فأعجب بها ، وبشره خيراً ، وقال له : يا بني إنها رؤية صادقة ، وإنها بشرى لك من الله ، سيخصك بعلم ، ويحبوك بنعمة يتمها عليك ، كما أتمها على آبائك من قبل .

ثم حذره أن يقصها على إخوته لئلا يحسدوه وقال : فقد عرفت غَيرتهم مما أخصك به وأخاك من رعاية ، قال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [يوسف : 4 - 5] .

ازداد تعلق يعقوب بيوسف وأخيه الآخر (بنيامين) لا سيما بعد هذه الرؤيا التي تدل على شرفه ومكانته ، لا سيما وإن دلالتها خضوع هؤلاء واعترافهم بفضله ، حيث تعبيرها أن الكواكب أخوته ، والشمس والقمر أبواه .

الإخوة الأحد عشر ميل أبيهم إلى يوسف **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ** [يوسف : 8] ، والمعنى كيف يحب اثنين ويغفل عن الجماعة . **إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** [يوسف : 8] إنه في خطأ بميله إلى هذين الاثنين .

تنامت الغيرة عندهم ، وحركهم دار الحسد ، فتشاوروا لماذا يميل أبونا إلى يوسف ويهملنا ونحن القائمون على خدمته ، ورعاية شئونه .

فقال بعضهم : إن حبهما نبتت في قلبه كما نبتت في الراحتين الأصابع ، فاقترح بعضهم قتله والتخلص منه **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**

[يوسف : 9] أي تخلوا أنتم بأبيكم **وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ** [يوسف : 9] أي تتوبون عما بدر منكم .

وقال أحدهم : لا تقتلوه لكن ألقوه في البئر يأخذه بعض السيارة (أي المسافرين) فالقتل لا يقره دين ولا عقل **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ** [يوسف : 10] ، فاستحسنوا هذا الرأي وصوبوه ، وعزموا على تنفيذه ، ولكن كيف الوصول إليه ، ويعقوب لا يتركه لأحد ، ولا يسلو إلا به .

وفي الغد عزموا على الذهاب إلى أبيهم وقالوا : يا أبانا يوسف أخونا ، وبضعة منا فلماذا لا تتركه يذهب معنا ، يلعب ويركض ، ونحن نحميه ونحرسه ، كما قال تعالى : **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** [يوسف : 11 - 12] .

طبعاً يعقوب عزيز عليه فرقة يوسف وخاف المكروه فقال : لا أطيق أرى يوسف بعيداً عن قلبي ، وأخشى غفلة منكم فيأكله الذئب **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**

وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ [يوسف : 13] . فردوا عليه :

 قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ
[يوسف : 14] ، يعني : ألسنا رجالاً نحن ، إنا إذاً لعاجزون هالكون ، وألحوا وكرروا حتى اقتنع الوالد .

في صباح الغد ، ذهبوا به ، وقد أجمعوا على وضعه في الجب ،

 فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ
[يوسف : 15] ، فمن حين فارقوه ، بدأوا بضربه وأذيته ، وفي تلك الحال أوحى الله إليه **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** [يوسف : 15] ، يعني : سوف يأتي يوم تذكرهم بصنيعهم هذا ، وهذا لطف من الله بيوسف وتثبيت له في هذا الكرب .

وذهبوا لشرهم ومكيدتهم ، وجردوا يوسف من ثوبه ، ورموه في البئر ، وفرحوا بذلك ، وظنوا أنهم حققوا مقصودهم ، وأصابوا غايتهم .

لكن المشكل هنا الآن ، كيف يواجهون أباهم ؟ !

فجاءوا في الليل إلى أبيهم يبكون ، ويكذبون ، يا أبانا لقد وقع ما تخوفت ! ذهبنا نجري نتسابق ، فغدا الذئب على أخينا يوسف ، فهجم عليه وأكله ، ولا نملك إلا البكاء وهذا الحزن وهذا قميصه مضرج بدمه ، قال تعالى : **وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ** [يوسف : 16 - 18] .

يعقوب شك فيهم ، وعرف خبث طويتهم ، وسوء نياتهم .

قال : **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** [يوسف : 18] .

يعني : سأصبر صبراً لا جزع فيه ، والله يعلم على ما تذكرون من الكذب والمحال ، لأن ثمة دلائل أنتم عصبة ، والقميص ليس مخروقاً ، لكن صبر واحتمل عليه السلام .

ونكتفي بهذا القدر هنا لضيق الوقت وأهم الدروس من هذا المقطع من القصة ما يلي :

(1)جمال قصة يوسف وروعتها .

(2)إثبات الابتلاءات في هذه الحياة .

(3)انطواء النفس البشرية على الحسد ووجوده بين الإخوة .

(4)إن الهوى يحمل صاحبه على الكذب والحسد وسوء الظن .

(5)فضل الرؤيا الصالحة في النوم .

(6)عدم التحديث بالمرائي الحسنة عند الحسدة .

(7)حفظ الله تعالى ليوسف عليه السلام وتثبيته وقت البلاء .

(11) تابع قصة يوسف

أُلقى يوسف عليه السلام في الجُبّ ، وحيداً طريداً ، بلا ذنب ! ومِنْ مَنْ ؟! من إخوته ، يعاني الوحشة ، ويتحسس ظلمة ، ويحوطه الخوف والحزن من كل مكان ، وهذه من أولى المحن .

يُقال : مكث في الجُب محبوساً ثلاثة أيام ، وهناك رغم البلاء والغم والخوف ثبته الله وحلاّه بالصبر ، وأوحى إليه إنك ستظهر على إخوتك وستخبرهم بصنيعهم هذا **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** .

وفي مدة مكثه في البئر جاع وتلمظ الحزن ، ثم جاء الفرج إذ هو يسمع صوت أُناس قادمين تجاه البئر ، فاستبشر وانشرح وأن ساعة الفرج قد دنت .

عسـى الكرب الذي أمسيت فيه يكـون وراءه فرج قريبُ

فيأمـن خائـف ويفـك عـانٍ ويأتي أهله النائي الغريبُ

ما الذي حصل ؟! جاءت سيارة مسافرون وأرادوا التزود من الماء ، فألقى واحد منهم دلوه في البئر لينزع الماء ، فلما رماه إذا هذا الغلام الصغير ، قد تعلق بالدلو ، فانذهل حيث رأى غلاماً صغيراً من أجمل ما خلق الله كأنه فَلقة قمر ، فصاح في جماعته **يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ** [يوسف : 19] ، يعني : يا سروري ويا فرحتي .

اجتمعت فيه هؤلاء ، واتفقوا أن يتخذوه غلاماً يبيعوه في مصر .

قيل : إن إخوته كانوا حول البئر يتربصون ماذا يحدث ، فلما أخرجه المسافرون طلع عليهم هؤلاء وقالوا : هذا غلامنا فرَّ منا ، فرفضوا أن يتركوه حتى يشتروه فلم يكن بُد من شرائه .

ولذلك حقروا ثمنه ، وزهدوا فيه ، حيث باعوه ، قيل بعشرين درهماً ولم يكونوا حُرصَاء عليه ، كما قال : **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ** [يوسف : 20] أي إخوته زهدوا فيه ، وحقروا ثمنه وشأنه .

ويوسف لم يستطع الكلام ، ويكشف أمره ، بل صبر حرصاً على النجاة والسلامة .

أخذه الركب المسافرون ، وانطلقوا به إلى مصر وهناك باعوه ، مع البضائع والرقيق ، وطيف به في الأسواق .

فقدر الله سبحانه وتعالى أن اشتراه عزيز مصر ، (**وزير الخزانة المصرية**) ، فلما جيء به إليه ، تفرَّس فيه ، ورأى من حُسنه وأدبه ، واكتمال خلقه ما دعاه أن يقول لزوجته : أكرمي مثواه ومأواه ، وحاشاك أن تزجريه زجر الخدم ، أو تضربيه ضرب العبيد ، فإني أرجو إذا كبر سنه ، واكتمل عوده أن ينفعنا أو نتخذه ولدا .

وهذا ما عناه الله بقوله **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً** [يوسف : 21] .

جاء ابن مسعود (أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال : أكرمي مثواه ، والمرأة التي قالت لأبيها : يا أبت استئجره ، وأبو بكر حين استخلف عمر) .

وما حصل هنا بارقة تمكين يوسف ، وظهوره حيث نجاه الله من كيد إخوته ، واحتواه هذا الرجل الفاضل الحكيم ، قال تعالى : **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** [يوسف : 21] .

فما أراده الله واقع ، ولا مانع لأمره ، لكن للأسف أكثر الخلق لا يدركون حكمته في خلقه .

مكث يوسف في دار العزيز مسروراً ، مرتاحاً ، وبدأ عمله في القصر بكل جد وأمانة .

وإبان تلك المدة ، اصطفاه الله للنبوة ، كما قال : **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** [يوسف : 22] .

ثم وهو ماضٍ في عمله في القصر ، وقد هدأت نفسه ، وسكنت روحه ، ابتُلي بمحنةٍ أخرى جديدة ، وهذه الحياة حياة ابتلاء ، والله عز وجل له حكمة في ذلك ، والمحنة الآن ليست من إخوته وإنما من (**سيدة القصر**) ، زوج العزيز ، حيث بدأت تتعلق بهذا الشاب ، الذي أعطى مكانة جليلة في القصر ، وبدأت تراقبه ، وتلاحظه ، وقد جمله الله ، وآتاه شطر الحسن ، وبدأ حب يوسف يتنامى في قلبها ، لكن كلما همت تذكرت أنه غلامها ، وهي زوجة العزيز ، لكن تعاظم الأمر معها ، وبدأت تلمح ليوسف لكن لا يلتفت إليها ويعرض عنها .

لكن بلغ الهوى منها مبلغاً عظيماً ، وفي يوم من الأيام دعته إلى غرفتها الخاصة بها ولبست أبهى الملابس فتنة وقالت ﴿ **هَيْتَ لَكَ** ﴾ [يوسف : 23] ، يعني : هيأت لك ، فقال : معاذ الله أن أجيبك وحاشاي أن أخون مولاي العزيز ، كما قال : ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾ [يوسف : 23] ، يعني : سيدي أكرمني في بيته ، وأسدل عليَّ نعمته ، ثم أغشه في أهله ، ﴿ **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [يوسف : 23] .

لكنها أصرت عليه ، وأغلقت الأبواب كلها فأبى وامتنع ، فأخذتها العزة بالإثم ، كيف فتى من فتياني لا يستجيب لطلبي ، وأنا في عزتي وكمالي ودلالي ، فقامت وراءه تبطش به ، ولم يكن أمامه إلا الفرار ، فهرب عليه السلام فجذبته من قميصه ، وكان وصل الباب ، فرآه العزيز ، وقد انشق قميصه ، فكان موقفاً مشبوهاً ، وموطن تهمة وارتياب .

فمباشرة رجعت إلى كيدها قالت : إن يوسف لم يَرْعَ حرمتك ، وقد راودني عن نفسي ﴿ **مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : 25]. فيوسف عقَّب مباشرة بكل صدق وصراحة ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي** ﴾ [يوسف: 26] وهذا قميصي شاهد على ذلك .

عند النزاع في ذلك ﴿ **شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا** ﴾ [يوسف : 26] ، قيل : رجل من خاصة الملك ، فقال : ننظر ﴿ **إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ** ﴾ [يوسف : 26 - 27] .

وبهذا الحل الذكي الحصيف ، انكشف الغبار وتجلت الحقيقة ، وسقط الزيف والبهتان ، ظهر الحق للعزيز ، وأدرك ما آلت به زوجته ، وأنها فُتنت بهذا الشاب وروادته عن نفسه .

وقال : إن هذا كيد النساء ، واستغفري لذنبك إنك كنتِ من الخاطئين ، وقال ليوسف : احفظ لسانك ، ولا تنشره في الناس ﴿ **إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**

وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنْ الْخَاطِئِينَ [يوسف : 28 - 29] .

بعد ذلك رغم حرص العزيز على عدم انتشار الخبر إلا أنه ذاع في القصر وتجاوزه إلى جنبات المدينة ، وايش الشائعة تقول : أن امرأة العزيز افتتنت بغلامها الفتى ، وذابت في حبه وغرامه ، **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ** [يوسف : 30] .

شاعت المقالة ، وأخذت ألواناً وأشكالاً حتى رنَّ ذلك في أذن امرأة العزيز ما يقول الناس منها ، فدعت صديقاتها من نساء المدينة ، وهيأت لهن متكئاً ، أي مفارش ووسائد ، وطعام من فاكهة **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً** [يوسف : 31] .

ثم أمرت يوسف **وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ** [يوسف : 31] وانبهرن بحسنه وجماله ، فهو شاب لا كالشباب ، أيلح الغرة ، وضيء الطلعة ، حلو الملامح ، فاندهشن بالمشهد **وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** [يوسف : 31] .

فصفقت امرأة العزيز ، وكأنها فرِحت بذلك وقالت : **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** [يوسف : 32] .

واعترفت لزميلاتها ، أنها أحبته ، وأنها أرادته على نفسها ، وأنها لا تطيق بعده أو غيابه (ومن الحب ما قتل) ، وأذلت نفسها له ، لكنه يستعصم ، وقد افتضح أمرها في الناس .

النسوة الحاضرات أصابهن الهيام ، وعز عليهن ما لاقت امرأة العزيز ، فبدأن الضغط على يوسف ، بكل أساليب النساء الجذابة ، لكن يوسف عليه السلام ، أعرض واستعصم وسأل الله الحفظ والتثبيت **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ**

تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ [يوسف : 33] .

وزدن في المراوغة والإغراء ، وهددته السيدة بالسجن ، لكنه أبى وامتنع فقامت إلى زوجها العزيز ، وقالت : (إن يوسف قد فضحني في أمري ، وافترى عليَّ في شرفي ، وما أرى إلا أن يُسجن) .

وكان قد تبين للعزيز أن امرأته هي المراوِدة والنساء شاركنها الجريمة ، ولكن رأوا أن من المصلحة حفاظاً على القصر وسمعته أن يسجنوه ، قال تعالى : **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** [يوسف : 35] .

باتت أدلة براءته ، والحالة المنحطة التي بلغتها المرأة ، وزميلاتها .. ولكن محنة وبلوى من الله ليوسف ، يجدد بها إيمانه ، ويهيئه لأمورٍ عظيمة .

وأشهر الفوائد هنا :

(1) أن الأنبياء أشد بلاء في الحياة .
(2) أن المنة تكون في طيات المحن .
(3) قبح الحسد وتغير قلب المسلم على إخوانه .
(4) فراسة العزيز حيث تفاءل في يوسف الخير والنعماء .
(5) عفة يوسف وتمنعه من الوقوع في الحرام .
(6) حرمة الزنا في الشرائع ، وأنه من أقبح الذنوب **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** [الإسراء : 32] .
(7) تثبيت الله لعباده المؤمنين المخلصين .
(8) فضل الإخلاص ، وإنه وقاية من السوء والمخاطر .
(9) حفظ يوسف لأمانة العزيز ، وعدم خيانته في بيته وأهله **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** .
(10) إيثار السجن والبلاء على الفاحشة والنعماء .
(11) تساهل أرباب الزينة والدنيا في الخلوة بالشباب والخدم .
(12) تصور وقوع الظلم من أهل الدنيا وعبيدها **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** .

(12) تابع يوسف عليه السلام

دخل يوسف عليه السلام السجن مظلوماً ، صابراً ، مؤثراً السجن على كل مراتع الفحش والخنا ، والأماني التي دعته إليها امرأة العزيز وشاركت النسوة المحرضات على الفاحشة .

لكن سلم لأمر الله تعالى ، ووالله لحياة الضنك والشدة ، خير من حياة الترف والنعمة في ظل معصية الله وظلم النفس .

في السجن حصلت له (قصة عجيبة) ، حيث تعرف على مجتمع جديد ، وأخلاق جديدة ، وشارك الناس مصائبهم .

هناك التقى برجلين في السجن قيل : أحدُهما ساقي الملك ، والآخر خبّازه .

السجينان لحظا صلاح يوسف ، وأمانته ، وحسن أدبه ، وكثرة ذكره وعبادته .

فماذا جرى ؟!

رأيا رؤيا ، كل واحد رأى رؤيا فأحب أن يعرف تفسيرها ، قال تعالى :

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[يوسف : 36] .

إيش الرؤيا ؟

الأول : قال رأيت فيما رى النائم أني غرست جنة عنب فخرجت عناقيد ثم سقيتهن الملك .

والثاني : قال : كأني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه .

طبعاً يوسف عليه السلام خبير بالمرأئي ، وهي تأويل الحديث الذي علمه الله إياه وهما رأيا حقيقة ، وسألاه ، التعبير لما رأوا من صلاحه ، وحسن سمته ﴿ **إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ، بل إنهما أحباه وارتضياه .

وورد أنهما قالا : (والله لقد أحببناك حباً شديداً زائداً ، فقال : بارك الله فيكما ، إنه ما أحبني أحد إلا دخل عليَّ من محبته ضرر ، أحبتني عمتي ، فدخل عليَّ الضرر بسببها ، وأحبني أبي فأوذيت بسببه ، وأحبتني امرأة العزيز ، فكذلك ، فقالا : والله ما نستطيع إلا ذلك) .

المهم يوسف عليه السلام سمع الرؤيا وأصغى لهما إصغاء العالم البصير ثم قال: **قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ** [يوسف : 37 - 38] .

أخبرهما إنه عارف بالتعبير ، ويخبرهم بالطعام ، وذكر لهما توحيده لله ، وسلوكه لطريق المرسلين ، وزاد يقول : **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** [يوسف : 39 - 40] .

ثم بعد هذه الموعظة التوحيدية ، عبر لهما ، قال للأول : تمكث في السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج فتسقي الملك خمرا **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً** [يوسف : 41] . وأما الثاني فأخبره بأنه يُقتل ، ويصبح جثة هامدة ، تأكل منه الطير **وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ** [يوسف : 41] .

لما سمع الرجلان التعبير ، قالا : ما رأينا شيئاً ، فقال : **قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** [يوسف : 41] .

فسمى الرؤية (فتوى) مما يدل على خطورتها وأنه ينبغي التدافع عن الجواب فيها كما يفعل بعض المعاصرين ، وزاد على ذلك الجزم ، وذكر التاريخ وهذا شيء مستغرب جداً !!

ثم إن يوسف عليه السلام قال للذي ظن أنه ناجٍ منهما ، اذكر شأني عند الملك ، وإني مظلوم ، أدخلت بغير جريمة **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** [يوسف : 42] .

وخرج الرجل من السجن ، فأنساه الشيطان ذكر ربه أي الشيطان حرص أن يُنسي ذلك الناجي لماذا كانت العاقبة **فَأَنسَاهُ**

الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ [يوسف : 42] .

لبث يوسف في السجن ابتلاءً من الله تعالى حتى قارب الفرج ، وحدث شيئ عظيم كان طليعة خروجه .

والحدث : أن الملك رأى رؤيا أفزعته وأهمته .. ماذا تقول الرؤيا ؟

رأى الملك سبع بقرات سمان تأكلها سبع عجاف مهازيل ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ** [يوسف : 43] .

أصبح في يومه مهتماً كثيراً ، فجمع رجال دولته ، وأشراف الناس ، بعضها عليهم **يَا أَيُّهَا الْمَلأ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَاي إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** [يوسف : 43] .

هم ما عرفوا ، وليس منهم البصير بالمنامات ، فقالوا : خيالات وأوهام **قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ** [يوسف : 44] .

ويحتمل أنهم خافوا منها وسمع الرؤيا (ساقي الملك) وهو الناجي من الرجلين ، فتذكر الرجل الصالح في السجن عالم الرؤيا والتعبير (يوسف) فسارع إلى الملك بقوله: أيها الملك إن بالسجن فتى كريماً ، صائب الفكر ، يكشف ودائع الغيوب بنور عقله ، فاذكر له رؤياك ، يأتيك بالخبر اليقين .

فانطلق الساقي إلى السجن **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** [يوسف : 46] .

فلما سمعها يوسف ، ألهمه الله تعالى حسن الجواب فيها فقال : (إنكم تزرعون سبع سنين دأباً ، أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين ، لأنها تثير الأرض ، التي يبرز منها الثمرات وهن السنبلات الخضر .

ثم أرشدهم إلى أمر هام : وهو أن ما يحصدونه في السبع سنين ذروه في سنبله ليكون أبعد عن الفساد إلا ما تأكلون منه .

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ [يوسف : 47] .

ثم تأتي سبع سنين عجاف ، شداد تجتاحكم إلا ما أحصنتم وحفظتم **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ** [يوسف : 48].

ثم بشرهم بالخير والرخاء بعام يأتي بعد السبع **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** [يوسف : 49] .

ينزل المطر ، وتعم الخيرات ، وتكثر ، ويعصر الناس الزيت ونحوه .

رجع الناجي إلى الملك بالرؤيا وتعبيرها فاندهش منها ، وعرف أن هذا كلام لا يقوله إلا عقلٌ بصير وفِكر ملهم ، فطلب الملك ليسأله ويجربه ، ويفيد من رأيه وعلمه **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ** [يوسف : 50] ، جاءه رسول الملك وناداه : إن الملك يدعوك إلى حضرته ، لكن يوسف النبي الكريم الصبور ، رفض العرض أن يحضر حتى تظهر براءته ، كان سيخرج بعفو الملك ، ومحبته له ، لكنه قال : **قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** [يوسف: 50] .

ورفضُ يوسف الخروج أثنى عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال : (ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأحببت الداعي) يثني على صبره وشدة احتماله .

المهم : استدعى الملك النسوة ومعهم امرأة العزيز فقال : **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ** [يوسف : 51] يذكرهم بيوم الضيافة .

فاعترفن أنه ليس بمتهم **قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ** [يوسف : 51] .

عندها نطقت امرأة وزيره العزيز بالحقيقة **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**
[يوسف : 51 - 52] .

ثم قالت : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [يوسف : 53] .

فها هي المرأة اعترفت بالحق ، وأن يوسف بريء لكنه نزوة شيطانية ، ومع ذلك ، فهي لم تخن زوجها بالغيب حيث لم يستجب يوسف لما طلبت منه الفاحشة .

وأثنت على يوسف خيراً ، وأكدت أنه سجين مظلوم ، وأنه زكي عفيف .. وكانت هذه الكلمات من امرأة العزيز إضافة إلى تعبير الرؤيا ، كافية لإخراج يوسف ، وإعلانه براءته للناس ، وأنه من أنقى الناس خلقاً ، وأزكاهم نفساً .

هذه المحاسن والأخلاق التي ظهرت عن يوسف الآن ، دعت الملك أن يستدعيه ويقربه ، ويجعله من خاصته وبطانته ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي** ﴾ [يوسف : 54]. مثلُ هؤلاء يقربون ، علم وبصيرة ، وأدب وأخلاق ، فحضر يوسف فأُعجب به الملك وقال له : ﴿ **إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** ﴾ [يوسف : 54] أي أصبحت ذا مكانة وشرف .

فطلب يوسف : ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : 55] . فأجابه إلى طلبه ، قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يوسف : 56 - 57] .

أي مكنا ليوسف ، وآتيناه من صنوف النعم والخيرات في هذه الحياة ، جزاء إيمانه وصبره ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ومع ذلك ، فأجر الآخرة أعظم وهو خير من متاع الدنيا .

ونقف هنا ، ونبين أهم الدروس :

(1) حسن شمائل يوسف في السجن ﴿ **إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ .

(2) القيام بالدعوة في اللحظات الشديدة نحو السجن .

(3) إن السجن ليس حائلاً عن الدعوة ، والتأثير في الناس .

(4) خبرة يوسف ومكانته العلية بتعبير الرؤيا .

(5) إن أول ما يدعى الله الخلق ، هو توحيد الله تعالى ، ونبذ كل ما يعبد من دونه .

(6) إن عبادة الله وحده هي الدين القيم ، والمنهج السوي ، وما عداها انحراف واعوجاج .

(7) إن تعبير المرائي جارٍ في إطار الظنية **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** وليس مسألة قطعية كما يتوهمه بعض الناس .

(8) انجذاب الناس إلى من يكتشف أسرار الغيوب كالمعبرين والكهان .

(9) ثبات يوسف وصبره ، ورفضه للخروج بمنة أو كرم حتى تثبت براءته الحقيقية.

(10) اعتراف المرأة العزيز بالخطيئة ورجوعها إلى الحق ، وتزكيتها ليوسف .

(11) جواز طلب الإمارة والمهمة ، لمن علم أهليته في ذلك .

والله تعالى أعلم ،،

(13) تابع قصة يوسف عليه السلام

نكمل هذه الليلة ، سياقاً جديداً في قصة يوسف عليه السلام ، وقد مكنه الله في الأرض ، وجعله الملك على الخزائن المصرية أي يعني صار هو العزيز) .

وناسب أن يتقلد أمر معاش الناس وأرزاقهم لا سيما وأنه قد حذرهم من مغبة السنين القادمة العجاف .

استقبل يوسف السنوات السبع السمان إبان وزارته بكل حكمة وعقل ، حيث هيأ المخازن ، وملأ الغلات ، وأسبغ على الناس ، ومع حسن التدبير والتنظيم ، خشية مفاجأة السنوات العجاف .

وبالفعل دخلت السنوات الشداد ، وقلت الأمطار ، وقحط الناس في مصر والبلدان ، لكن مصر استقبلت القحط بكل حيطة واستعداد بفضل الله ، ثم بحكمة يوسف وحسن تخطيطه ، حيث ادخر من الغلال ما يكفي حاجة الناس ، ويصونهم أيام الجوع والجدب .

تسامع الناس بذكر مصر ، وأنها رخية ، وكأنها لم يصبها القحط ، وأن فيها عزيزاً عادلاً وفاضلاً كريماً ، يوزع الحنطة بين الناس بميزان العدل والرحمة .

وصل الخبر إلى أرض فلسطين ، وفيها يعقوب عليه السلام وبنوه ، فقال يعقوب لأبنائه : إن الجدب عمنا فشدوا ركابكم ، واقصدوا هذا العزيز الذي حملت الركبان أخباره .

وبالفعل أجاب الأبناء دعوة أبيهم ، وانطلقوا إلى مصر كما قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ [يوسف : 58] .

دخل الحاجب على يوسف العزيز ، وقد صار في رئاسته ووجاهته ، وحوله الناس محل إجلال وإكرام ، وقال له : إن بالباب عشرة تتشابه معارفهم ، غرباء عن هذه الديار يستأذنون في الدخول عليك .

فأذن لهم يوسف بالدخول ، فإذا هم إخوته العشرة الذي غدروا به ، ورموه في البئر فعرفهم ، ولم يعرفوه ، واستبانهم وهم قد أنكروه مع طول المدة .

يوسف كان حكيماً رزيناً ، آواهم وأحسن ضيافتهم .

ثم قال لهم : من أنتم ؟ وما أقدمكم بلادي ؟

فقالوا : يا أيها العزيز قدمنا للميرة ، قال : لعلكم عيون ؟

قالوا : معاذ الله ، قال : فمن أين أنتم ؟ !

قالوا : من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله .

قال : وله أولاد غيركم ؟

قالوا : نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية ، وكان أحبنا إلى أبيه ، وبقى شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه .

فقال يوسف : لا قيمة لهذا القول عندي حتى تأتوا به أو شاهد ، فأقيموا عندي حتى يحضر بيتكم .

فقالوا : نحن غرباء ، وإنك تكلفنا محالاً ولكن التمس لنا مخرجاً عن هذا .

فقال : إني سأجهزكم ، وأمدكم بالميرة الوفيرة على أن تعودوا ومعكم أخوكم الذي خلفتموه عند أبيكم ، ليكون شهيداً عليكم ، وسأضاعف إكرامكم ، وأزيدكم حمل بعير في غلاتكم ، هذا هو شرطي ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون .

قال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ** ﴾ [يوسف : 59 - 60] .

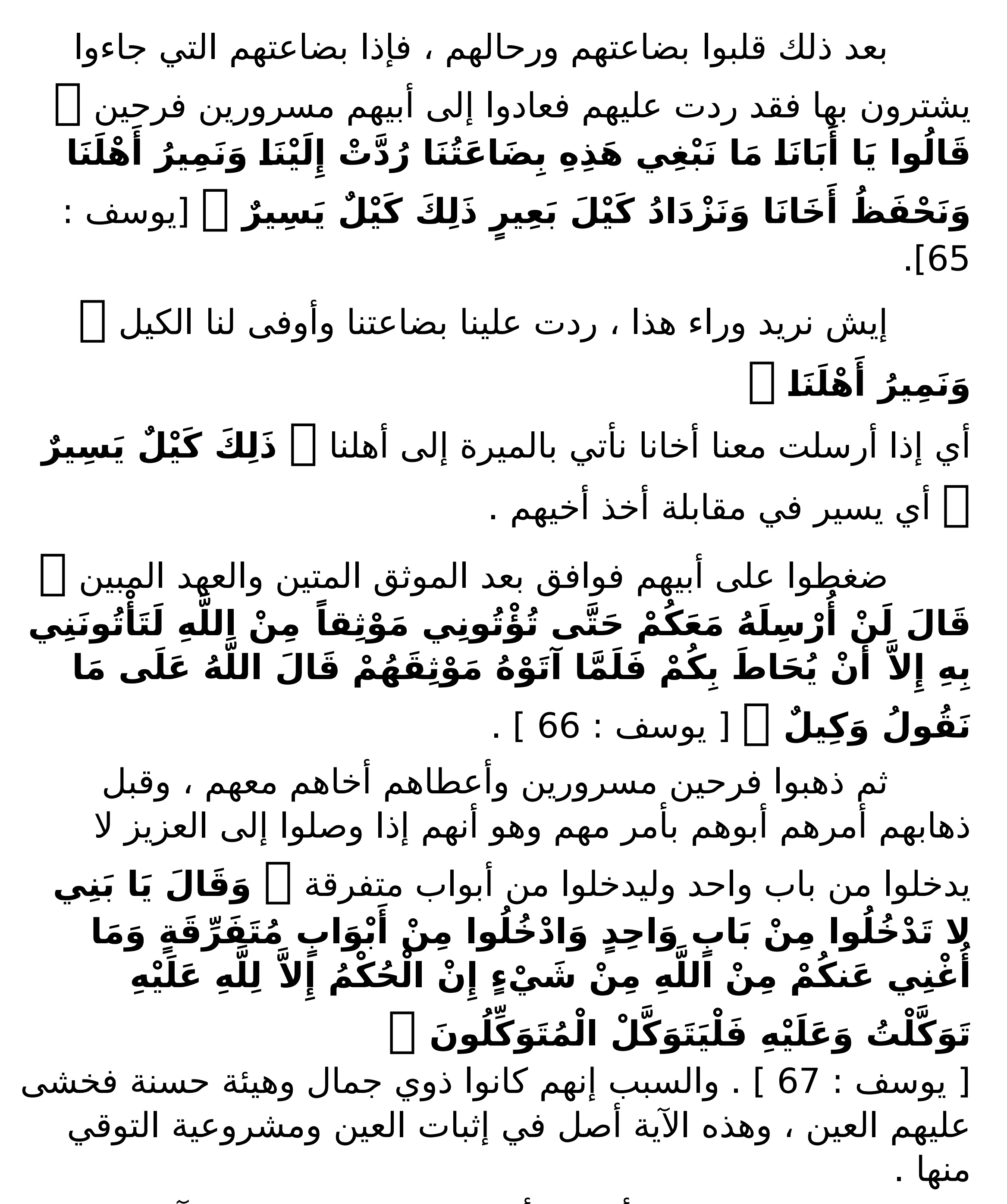
﴿ **قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ** ﴾ [يوسف : 61] يعني سنحاول في أبيه أن يرسله معنا ، وإن كنا نظن أنه لن يأذن بسفره ، ولا يصبر على فراقه .

ثم إنه ودعهم وخرجوا من عنده على الموعد لكن يوسف قبل ذلك صنع شيئاً عجيباً .. ماذا صنع ؟!

قال لخدمه وفتيانه ردوا عليهم بضاعتهم التي جاءوا بها ليمتاروا عوضاً عنها في رحالهم من غير ما يشعرون ، والسبب قيل : خشى أن لا يكون عندهم بضاعة يعاوضون بها أو خشى أن يأخذ من أبيه عوضاً وقيل لإحراجهم فيرجعوا إليه .

رجع الأخوة إلى أبيهم فقالوا : يا أبانا لقينا رجلاً عظيماً ، ووزيراً كريماً عرف فضلنا ، وأكرم وفادتنا ، ولكنه أخذ علينا عهداً وشرطاً ألا يكيل لنا من بعدُ حتى نأتيه بأخينا (بنيامين) ، يخبره بحقيقة حالنا ، إنه شك في أمرنا .

أبوهم رفض وأبى ﴿ **قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ** ﴾ [يوسف : 64] . أي هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل .



بعد ذلك قلبوا بضاعتهم ورحالهم ، فإذا بضاعتهم التي جاءوا يشترون بها فقد ردت عليهم فعادوا إلى أبيهم مسرورين فرحين ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ [يوسف : 65].

إيش نريد وراء هذا ، ردت علينا بضاعتنا وأوفى لنا الكيل ﴿ **وَنَمِيرُ أَهْلَنَا** ﴾

أي إذا أرسلت معنا أخانا نأتي بالميرة إلى أهلنا ﴿ **ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ أي يسير في مقابلة أخذ أخيهم .

ضغطوا على أبيهم فوافق بعد الموثق المتين والعهد المبين ﴿ **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقاً مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُونَنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ [يوسف : 66] .

ثم ذهبوا فرحين مسرورين وأعطاهم أخاهم معهم ، وقبل ذهابهم أمرهم أبوهم بأمر مهم وهو أنهم إذا وصلوا إلى العزيز لا يدخلوا من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة ﴿ **وَقَالَ يَا بَنِي لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾
[يوسف : 67] . والسبب إنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة فخشى عليهم العين ، وهذه الآية أصل في إثبات العين ومشروعية التوقي منها .

وصلوا ودخلوا كما أمرهم أبوهم ، والتقوا بيوسف فآوى إليه أخاه ، ورق له وحن عليه ، ولكن لم يظهر عواطفه ، ثم إن يوسف صنع لهم طعاماً ، فجلسوا مثنى مثنى ، وبقى بنيامين وحيداً فبكى ، وقال (لو كان أخي يوسف حياً لجلس معي) فأجلسه على مائدته ، ثم إنه بات عنده بنيامين فقال له : أتحب أن أكون أخاك الهالك ، فقال : من يجد أخاً مثلك ولكن لم يرك يعقوب ولا راجيل ، فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه ، وقال له : إني أنا أخوك الذي تنشده وتهتف باسمه فحينها قرَّت نفس بنيامين ، واستقرت روحه .

﴿ **وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [يوسف : 69] .

بعد ذلك انقضت أيام الضيافة . ودبر يوسف لهم مكيدة ومكرا ، وأخبر أخاه بما سيصنع .. وماذا صنع لهم ؟!

قبل سفرهم وضع (صواع الملك) وهو إناء من الفضة يشرب منه ، ويكيل للناس به في متاع أخيه بنيامين ، ثم انصرفوا ، ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ** ﴾ [يوسف : 70] .

وقت خروجهم ﴿ **أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ** ﴾ [يوسف : 70 – 72] .

هذه خصاله من جاء به أعطيناه حمل بعير طعاماً .

اتهمهم الغلمان بالسرقة ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [يوسف : 73 – 75] .

قالوا : من وجد في متاعه فهو أسير عندكم عبد لكم ، هذا شرعنا ، ونحن على يقين من براءتنا .

بدأ بأوعيتهم يفتشها وعاءً وعاء ، ثم فتش وعاء أخيه ، فوجد الصواع ، فرفعه أمامهم فدهشوا وأطرقوا رؤوسهم حياءً وخجلا .

﴿ **فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : 76] .

أي كدنا ليوسف وهذا من الكيد المحبوب والمعنى دبرنا وصنعنا له هذه الفعلة .

نتوقف هنا ، وفي هذا السياق من الفوائد ما يلي :

(1) فطنة يوسف بادخار الأطعمة ، وحذقه بأحوال الناس ، ومعرفته لأخوته الذين لم يعرفوه .

(2) حسن شمائل يوسف ، وتمام إدارته للأمور وتوفير ما يسمى الآن (بالأمن الغذائي) الذي يعينك في أيام المحن والكوارث .
(3) مشروعية إكرام الضيف ، بإحسان وفادته وأن هذا خلق الأنبياء .
(4) إثبات وجود العين وأنها حق ، ومشروعية التوقي منها .
(5) جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة ، ولم تهدم أصلاً .
(6) حسن المعاملة في البيع والشراء ، والتيسير على الناس أيام الشدائد .
(7) تحريم السرقة وذمها في الشرائع السابقة .
(8) إن كان في شريعتهم أن المسروق إذا ظفر بسارقه استرقه وملكه ، وفي مصر ضربه وتغريمه .
(9) فضل يعقوب وأنه يعلم من الله حيث ؟؟؟؟؟ أسباب العين .
(10) توالي النعم على يوسف بعد الشدة والكرب ومقاساة الحياة ، لما صبر واحتمل **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** [الشرح : 5 - 6] .

وغيرها من الفوائد المهمة

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

(14) تابع قصة يوسف عليه السلام

توقفنا في الدرس السابق عند استخراج يوسف عليه السلام السقاية من وعاء أخيه فخجل إخوته وخفضوا رؤوسهم حياء منه ، فقال لهم يوسف : عليكم بالشرط

﴿ **مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ** ﴾ [يوسف : 75] . أي أن يملك المسروق السارق ويصبح أسيراً له .

ثم إنهم أرادوا أن يبرئوا أنفسهم فقالوا ﴿ **قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف : 77] .

يقصدون بذلك يوسف وأنه سرق في صباه ، والقصة تقول : إن عمة يوسف كانت عندها مِنطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبر ، وكان يوسف قد تربى عند عمته هذه ، وأحبته حباً شديداً ، فلما صار عمره 7 سنوات تاقت إليه نفس أبيه يعقوب ، فقال لها : سلمي إليَّ يوسف ، فإن نفسي قد تاقت إليه .

فقالت : دعه عندي أياماً حتى أنظر إليه ، فلما خرج يعقوب قامت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم زعمت أنها فقدت المنطقة ، فانظروا من أخذها فوجودها عند يوسف ، فقالت : إنه لي أصنع به ما شئت .

وأخبر يعقوب الخبر فقال : إنت وذاك ، ولم يجد بُداً من تركه لعمته ، حيث أحبته وكانت لا تسلو إلا به ، فقالوا ذلك يشيرون إلى هذه القصة .

فقال يوسف في نفسه : ﴿ **أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ** ﴾ .

ثم إنهم بدأوا يستجدون العزيز يوسف ﴿ **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : 78] .

فقال : كيف نأخذ شخصاً لم يظلمنا ؟! إنما نأخذ من وجدنا متاعنا عنده ، حاولوا كرروا على يوسف ، لكنه أصر ومنع أن يأخذ عوضاً عن بنيامين .

لم إنهم لما يئيسوا ﴿ **خَلَصُوا نَجِيّاً** ﴾ انفردوا عن الناس يتشاورون ماذا يفعلون، وقد اعطوا أباهم الميثاق أن يرجعوا به .

فقال كبيرهم : ألم تعطوا أباكم عهدا على أن ترجعوا به ، إن جرح يوسف لم يندمل، وأن دموع عينيه لم تنقطع ثم قال : ﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [يوسف : 80] .

ثم لا مناص ﴿ **ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ** ﴾ [يوسف : 81] ، ذهب التسعة وبقى (هوذا) الذي عاهد أباه ، رجعوا إلى أبيهم ، وكاشفوه بالحقيقة يا أبانا وقع كيت وكيت ، وقد سرق بنيامين وصدقوه هذه المرة وقالوا : ﴿ **وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ** ﴾ [يوسف : 81] أي ما علمنا في الغيب إنه سيسرق له شيئاً ، وإنما سألنا ما جزاء السارق ؟

وسل يا أبي القرية التي كنا فيها ، قيل هي مصر ﴿ **وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [يوسف : 82] .

طبعاً يعقوب لم يتمالك نفسه ، ووقع الخبر عليه كالصاعقة هدت كيانه ، وأذهبت عقله فقال : ما صنعتم بأخيكم ، وما فعلتم بأيمانكم وقال : ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [يوسف : 83].

ظن يعقوب أنها مكيدة جديدة ، كما فعلوا بيوسف فقال ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ .

ثم إنه تولى وأعرض عنهم وقال : ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [يوسف : 84] .

جدّد له حزن الآن الحزن الدفين وابيضت عيناه : ذهب سوادهما وعمي من شدة كثرة البكاء . وكظيم : كئيب .

مكث مدة يعقوب ، يبكي ويتألم حتى ضوى جسمه وانهد وابيضت عيناه .

ومرة : سمعه أحد أبنائه يتوجع ويتلهف على يوسف ، فاستدعى أخوته لينظروا فلما سمعوه قالوا : **تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ** [يوسف : 85] .

الحرض : مرض المريض الموشك على الهلاك أو ضعيف القوة من أذابه هم أو مرض ، فقال : **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**
[يوسف : 86] .

قالوا يشير إلى الرؤيا وأنها صدق حتماً سيلتقي بيوسف وسيلم الله الشمل .

ثم إن يعقوب ندب أبناءه للبحث عن يوسف وأخيه وقال : **يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ**
[يوسف : 87] .

فرج الله قريب ورحمته واسعة ، وبالفعل خرجوا يبحثون ، ورجعوا مصر إلى العزيز ، وهناك وقفوا موقف المنكسر المكروب ، والمفجوع المضيوم وقالوا : **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** [يوسف : 88] .

جاءوه مرة أخرى في أيام جدب وقحط وسألوه أن يحسن عليهم ويتصدق حيث جاءوا بطعام رديء وقليل ، أو يمن عليهم بإطلاقه سراح أخيهم بنيامين .

عند ذلك رق يوسف لمصاب إخوته ، وتذكر ما ألم بأبيه من الأسى واللوعة على فقد أبنائه ، فقال لهم : **هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**
[يوسف : 89] . ذكرهم يوسف بما فعلوا به في الصغر ، وكيف احتالوا على أبيه وأخذوه وجروه وضربوه وقد توسل لهم فلم يرحموا ضعفه ، ولم يجبروا كسره ، وكيف أنهم غشيتهم غاشية الحسد ، وحاقت بهم آفة العداء ، حتى رموه في البئر بكل جفوة وقساوة .

فتعجبوا كيف عرف دقائق ذلك ، ولم يعلم به أحد ، وبنيامين لا يعرف تفاصيل ذلك ، فبدأوا ينظرون في يوسف ، ويدققون فيه .

قيل : خلع التاج من على رأسه وكان في جبهته شامة عرفوه بها .

فقالوا : ﴿ **أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : 90] .

فقالوا : ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف : 91] اعترفوا بأن الله خضه بالفضل والشرف والسعة والملك . فقال : ﴿ **لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف: 92] .

والمعنى لا تأنيب ولا عتب ، وارجو الله أن يستر عليكم ويتجاوز عنكم .

ثم قال لإخوته وهم عائدون : ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [يوسف : 93] .

يعقوب عليه السلام كان في صلاته ودعاته ثم يتذكر أبناءه فيبكي ، في هذه المرة أحس بانشراح في نفسه ، وإشراقة في قلبه ، فقال لأبنائه : ﴿ **إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ** ﴾ [يوسف : 94] أي تنسبوني للفندَ والخرَف .

وذلك لما فصلت العير من مصر وهي حاملة القميص ، عند ذلك وجد الريح من مسيرة ثمانية أيام . ضاق الأبناء من كلام أبيهم ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ [يوسف : 95] . أي حبك القديم ليوسف ، لا تنساه ولا تسلاه ، وهي كلمة غليظة في حق والدهم .

وصلت العير ، وكان حامل القميص يهوذا ، فألقاه على وجه أبيه فارتد بصيرا ، عاد إليه بصره بعد سنين طويلة .

عندها ندم الأبناء ، واعتذروا لأبيهم ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [يوسف : 97 – 98] .

ثم هيأوا أمتعتهم ورحالهم للنقلة إلى مصر حيث العزيز ﴿ **وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [يوسف : 93] .

انطلقوا من فلسطين إلى مصر ، ولما علم يوسف ، فرح لاستقبالهم ، وخرج معه الملوك وأكابر الناس ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا**

دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [يوسف : 99] أي آمنين من القحط والجدب والعنت .

﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً** ﴾ [يوسف : 100] أي أجلسهما على سرير الملك ، فسجد الجميع له إجلالاً ، وكان هذا جائزاً في شريعتهم ﴿ **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [يوسف : 100] .

فهذه هي الرؤيا ، تحققت بعد مدة طويلة قيل أربعون سنة عند ذلك وظهور النعم على يوسف مكنه الله تعالى ، وجمع له شمله ، وأسجدهم له .

دعا الله قائلاً : ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [يوسف : 101] .

وهذا الدعاء العظيم اشتمل على عدة أمور :

الأولى : ذكر ما امتن الله عليه من الملك .

الثانية : ذكر منَّة الله عليه بتأويل الأحاديث .

الثالثة : ثناء على الله بأنه فاطر السموات والأرض .

الرابعة : ذكر ولايته لله دنيا وآخرة .

الخامسة : الدعاء بأن يتوفاه الله مسلماً ويلحقه بالصالحين .

من فوائد القصة :

(1) كظم الغيظ في أصعب اللحظات وأنه عمل عظيم .
(2) لا تؤخذ أحد بجريمة الآخر ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [الإسراء: 15].
(3) شدة البلاء الواقع على أنبياء الله ورسله .
(4) إن الشكوى لا تكون إلا لله تعالى .
(5) ضرورة العمل في الحياة وعدم اليأس .
(6) تعريف المخطئ بخطئه .

(7) فضل العفو والسماح عن الناس .
(8) اختصاص الله الفضل بمن شاء من عباده .
(9) إن رجوع بصر يعقوب بقميص يوسف إنما عاد على وجه المعجزة .
(10) انتقال بني إسرائيل يعقوب من فلسطين إلى مصر كان في عهد يوسف ، وهناك تكاثروا .
(11) مشروعية الاستغفار عند الخطيئة .
(12) مشروعية الإحسان إلى الوالدين وتكريمهم **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ** .
(13) مكانة يوسف الرفيعة ، حيث أسجد الله له أبويه وإخوته .
(14) جواز السجود في شريعتهم ، وحرمته في شريعتنا .
(15) إن أمد الرؤيا غير محدود ، قد يطول وقد يقصر ، وهنا ذكروا أربعين سنة .
(16) حسن صبر يعقوب ، واحتماله لشدائد الحياة .
(17) حسن أدب يوسف في المعاتبة **مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**

وغيرها من الفوائد والله الموفق ،،

الفهـــــــرس